قضاة قرطبة
الخشني
أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني
المتوفى سنة ٣٦١ هـ



تأليف

الخشني

أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني

المتوفى سنة ٣٦١ هـ



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

الخشنى ، محمد بن حارث بن أسد الخشنى
القيروانى ، ٩٧١٠٠٠
قضاة قرطبة / تأليف الخشنى بن عبدالله
محمد بن حارث بن أسد القيروانى . ـ القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.
١٤٠ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك ٥ ٢٨٠ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ العرب فى إسبانيا
٢ ـ الفقهاء ـ تراجم
(أ) العنوان
رقم الإيداع بدار الكتب ٥٨٣٥/ ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 280 - 5

ديوى ٩٥٣،٠٧١

مقدمة الطبعة الثانية

يسعد الهيئة المصرية العامة للكتاب أن تصدر هذه الطبعة الجديدة من «قضاة قرطبة».

إيمانًا بالدور الثقافى الذى تقوم به الهيئة فى طبع أمهات الكتب التى لقيت إقبال القراء وتقديرهم للجهد الذى بذل فيها، وقد أشرفت على إصدار هذه الطبعة الأستاذة عزيزة السرجانى ، وقد احتفظنا بصورة النص على نحو ما صدر فى الطبعة السابقة.

ونرجو أن يكون فى هذا الجهد ما يفيد القراء والباحثين والمثقفين ويثرى المكتبة العربية.

والله ولى التوفيق

د. ناصر الأنصارى

المقدمة العامة

فى هذه الظروف التى ينمو فيها وعى المواطن العربى ، ويزداد إحساسه بأهمية الدور الذى أسهم به أجداده فى إثراء الحضارة الإنسانية وما كان لهم من السبق فى نشر العلم وحمل لواء الحضارة فى تلك البلاد .

فى هذا الوقت الذى تزدهر فيه القومية العربية ويتجلى دور العرب التاريخى . . نتقدم إلى القارئ العربى بهذه المجموعة الأولى من آثار الفكر العربى فى الأندلس محاولين — فيما نقدم — أن نضع أمام ملايين القراء من المثقفين والعلماء فى جميع أنحاء العالم عامة ، وفى ربوع الوطن العربى خاصة هذه المجموعة من الكتب التى نشرت فى الأندلس بعنوان المكتبة الأندلسية

Bibliotheca - Arabico Hispana

فى أواخر القرن التاسع عشر ونشرت فى القاهرة فيما بين سنتى ١٩٥١ و ١٩٥٦ من هذا القرن بعنوان « من تراث الأندلس » .

ولسنا بحاجة إلى الإشارة بأهمية الدور العربى فى الأندلس ، فقد كانت إقامة العرب الطويلة فى هذه البلاد تمثل عملية التفاعل الحضارى بين الشرق والغرب وبين العصر الوسيط والعصر الحديث . هذا التفاعل الذى تكونت منه بذور الحضارة الحديثة .

ولقد قام بعض المستشرقين من الأسبان بنشر مجموعة من هذه الكتب بالعنوان الذى نقدمها به إلى القارى وهو المكتبة الأندلسية Bibliotheca-Arabicò Hispana وكانت تضم الكتب الآتية :

١ — الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم لابن بشكوال (٥٧٨هـ) ، وقد نشر سنة ١٨٨٣ م .

٢ — التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٦٥٩هـ) وقد نشر سنة ١٨٨٧ م

٣ — المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى لابن الأبار (٦٥٩هـ) وقد نشر سنة ١٨٨٦م.

٤ — بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (٥٩٩ هـ) وقد نشر سنة ١٨٨٥ م .

٥ — تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (٤٠٣هـ) ، وقد نشر (١٨٩١ م) ، وقدطبعت الكتب السابقة فى مدينة مجريط Matriti .

٦ — فهرس ما رواه ابن خليفة الاشبيلى المعروف بابن خير عن شيوخه وقد نشر فى سرقسطة سنة ١٨٩٤ م .

أما فى مصر فقد قام السيد عزت العطار الحسينى بنشر بعض هذه الكتب وهى :

١ — تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس لابن الفرضى .

٢ — الصلة فى تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال

٣ — التكملة لكتاب الصلة لابن الابار .

وأضاف إليها تحت هذا العنوان « من تراث الأندلس » كتابى :

١ — جذوة المقتبس للحميدى (٤٨٨ هـ) ، وقد قام بضبطها الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى على النسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب .

٢ — قضاة قرطبة وقد أضاف إليه كتاب علماء أفريقية للخشنى سنة ٣٦١ .

***

هذا وقد حرصنا فى نشر هذه المكتبة على أن تضم مجموعة من الكتب التى يعد نشرها تكملة ضرورية للمكتبة الأندلسية . منها :

١ — صلة الصلة لابن الزبير (٧٠٨ هـ)

٢ — الجزء الثالث من كتاب التكملة لابن الأبار . وهى نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر رقم ٦٧٤٤ أباظة

٢ — الذيل والتكملة للمراكشى

وقد لوحظ أن الطريقة التى أخرجت بها هذه المكتبة فى الأندلس والقاهرة كانت بحاجه إلى مزيد من العناية فى ضبط بعض الأعلام ، وتقويم بعض الفقرات والأساليب ، كما أنها تخلو من الهوامش . ويميل النص فى بعض الاحيان إلى الغموض ، الأمر الذى دعانا إلى أن نحاول تقويمه بما يتفق والسياق . وإذا تعذر ذلك اثبتناه كما هو مع الإشارة إليه فى الهامش .

ونحن إذ نقدم هذه المكتبة ، نرجو أن نكون قد وفقنا إلى أداء بعض الواجب علينا نحو نشر تراث الأجداد فى الأندلس ذلك القطر الذى ازدهرت فيه حضارة العرب وشع منها النور إلى كافة أرجاء للعمورة .

والله يوفقنا ؟

إدارة أحياء التراث

١ ــ المؤلف

١ ــ ترجمة المؤلف

هو الحافظ أبو عبد الله محمد بن حارث ابن أسد الخشنى القيروانى المغربى . عاش السنوات الأولى من حياته فى القيروان، وسمع بها من أحمد بن زياد ، وأحمد بن نصر ، كما سمع من عدة رجال أفريقيين .

ثم رحل إلى الأندلس صغيراً ولما يتجاوز الثانية عشرة ، ونزل بقرطبة وتتلمذ على محمد بن عبد الملك بن أيمن ، وقاسم بن أصبغ، وأحمد بن عبادة، ومحمد بن يحيى بن لبابة، وأحمد بن زياد والحسن بن سعد(١) .

وقد قال عنه صاحب «جذوة المقتبس» محمد بن حارث الخشنى من أهل العلم والفضل، فقيه محدث ، روى عن ابن وضاح ونحوه . ذكره أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد على بن أحمد ، وأورد عنه أبو سعيد بن يونس فى تاريخه ، « وفيات جماعة من أهل الأندلس» ممن مات قبل الثلاثمائة وبعدها بمدة . وقد أفصح أبو سعيد باسمه ونسبه فى موضعين من التاريخ فى باب السين ، وفى باب النون وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان فى زمانه ووقف على كتابه.(٢)

وقال عنه ابن الفرضى :

وكان حافظاً للفقه عالماً بالفتيا ،حسن القياس ، ولى الشورى . قال لى أبو مروان عبيد الله بن الوليد المعيطى . قال لى أحمد ابن عبادة الرعينى :

رأيت محمد بن حارث بالقيروان سنة إحدى عشرة فى مجلس أحمد بن نصر ، وهو شعلة يتوقد فى المناظرة ، قال لى أبو مروان: وكان محمد بن حارث حكيما يعمل الأدهان ، ويتصرف فى ضروب من الأعمال اللطيفة ،

---

(١) تاريخ علماء الأندلس / ابن الفرضى ط مجريط ج ١/ ٤٠٤ .

(٢) جذوة المقتبس / الحميدى / ٤٩ ط العطار بالقاهرة ، بغيه الملتمس الضبى ط اوربا / ٦١ .

وكان شاعراً بليغاً إلا أنه كان يلحن . وتردد ابن حارث فى كور الثغر ثم استقر بقرطبة[1] .

وقال عنه الذهبى :

وكان شاعراً بليغاً لكنه يلحن ، وكان مغرى بالكيمياء، واحتاج بعد موت الحكم إلى أن جلس فى حانوت يبيع الأدهان، وروى عنه أبو بكر بن حويبل وغيره[2] .

ب ـ كتبه :

منذ انتقل الخشنى إلى قرطبة استطاع أن ينمى ثقافته اللغوية والفقهية، وأن يوطد علاقته بالحكم بن عبد الرحمن المستنصر الذى صنف له كتباً كثيرة منها :

١ ــ الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك .

٢ ــ كتاب الفتيا .

٣ ــ تاريخ الأندلس .

٤ ــ تاريخ الإفريقيين .

٥ ــ كتاب النسب .

وأشار الحميدى إلى أنه جمع كتاباً فى « أخبار القضاة بالأندلس » ، وكتاباً فى « أخبار الفقهاء والمحدثين » وكتاباً فى الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه »[3] .

وقال أبو الوليد الفرضى :

بلغنى أنه صنف للمستنصر مائة ديوان ، وقد جمع له فى رجال الأندلس كتاب قد كتبنا منه فى هذا الكتاب ما نسبناه إليه[4] .

جـ ـ وفاته :

توفى بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٦١ ودفن بمقبرة مومرة[5] وقال الذهبى « إنه مات فى صفر سنة ٣٦١ وهذا خطأ، فإن المستنصر عاش بعد هذا الوقت فلعلها سنة ٣٧١[6] ولكن الواضح أن المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن وُلِّى سنة خمسين وثلاثمائة، وتوفى سنة ست وستين وثلاثمائة» وعلى ذلك فليس هناك شك يمكن أن يقال عن تاريخ وفاته، خاصة وأن المراجع التى بين أيدينا تجمع على ذلك .

(١) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ط مجريط جـ ١ / ٤٠٤ .
(٢) تذكرة الحفاظ : الذهبى / ١٠٠١ .
(٣) تذكرة الحفاظ / للذهبى / حيدر أباد / ١٠٠١ ، جذوة المقتبس / الحميدى / ٤٩ ، بغية الملتمس. للضبى ٦١ .
(٤) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ط مجريط ١ / ٤٠٤ .
(٥) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى ط مجريط ١ / ٤٠٤
(٦) تذكرة الحفاظ الذهبى / ١٠٠١

٢ ــ قرطبة فى التاريخ

ا ــ مدينة قرطبة :

« قاعدة الأندلس وقطبها ، وأم مدائنها ومساكنها ، ومستقر الخلفاء ودار المملكة فى النصرانية والإسلام ، ومدينة العلم ، ومستقر السنة والجماعة ، نزلها جملة من التابعين وتابعى التابعين ، ويقال نزلها بعض من الصحابة .

وهى مدينة عظيمة أزلية ، من بنيان الأوائل ، طيبة الماء والهواء . أحدقت بها البساتين والزيتون ، والقرى والحصون ، والمياه والعيون ، من كل جانب ، وبها المحرث العظيم ، الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظير ولا أعظم منه بركة (١) » .

ب ــ العلم فى قرطبة

لم تكن قرطبة أقل أهمية من مثيلاتها لا فى الأندلس فحسب ، بل فى سائر أنحاء الوطن الإسلامى ، فلم تكن أقل نشاطا وأهمية عن بغداد ودمشق والقاهرة فى المشرق .

وكانت محط رجال طلاب العلم ورواد الثقافة فى الفكر فى سائر الأنحاء ، وكان للجو العلمى السائد فى تلك الفترة التى عاشها الخشنى أكبر الأثر فى إنضاج الكفاءات العلمية ، وشحذ العقول نحو الخلق والابتكار ، وساعد على ذلك ما كانت تحويه قرطبة من مدارس ومكتبات وجامعات . فبرز علماؤها فى مختلف العلوم الإسلامية من فقه وحديث وتفسير وأدب ورياضة وحساب وفلك وهندسة .

وقد شجع على هذا الازدهار أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله الذى تولى الحكم سنة ثلاثمائة وتوفى فى رمضان سنة خمسين وثلاثمائة . ففى عهده عاصر الخشنى أخصب الفترات العلمية فى قرطبة حيث ازدحمت بسكانها

(١) نفح الطيب / المقرى جـ ٢ / ٨ .

فاضطر إلى اتخاذ ضاحيتها مقراله سماها مدنية الزهراء[١].

وقد أشار إلى ذلك كثير من العلماء . فقال الحجارى : كانت قرطبة مركز الكرماء ، ومعدن العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ، ويبارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ، وهى من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد .

وقال عنها ابن سعيد :

ومن كلام والدى فى شأنها : هى من أحسن بلاد الأندلس ، ولأهلها رئاسة ووقار ولا تزال سمة العلم متوارثة فيهم ، وهى من أكثر بلاد الأندلس كتبا وأشدها اعتناء بخزائن الكتب ، وصار ذلك عند أهلها من آلات التعيين فى الرياسة حتى إن الرئيس منهم لا تكون عنده معرفة ، يحتفل فى أن تكون فى بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها — ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلانى ليس عند أحد غيره ، والكتاب الذى بخط فلان قد حصله وظفر به[٢] .

وقال عنها ابن رشد :

إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية . وقرطبة أكثر بلاد الله كتبا[٣] .

٣ ـ القضاء فى قرطبة

احتل القضاء أهمية كبيرة لدى العامة والخاصة ابتداء من الحاكم حتى الطبقات الشعبية وذلك لتعلقه بأمور الدين — حتى إن الحاكم كان يحضر بين يدى القاضى إذا رأى ذلك « وكان قاضى القضاة يقال له : قاضى القضاة وقاضى الجماعة[٤] » .

كيف يعين قاضى قرطبة ؟

كان يعينه الحاكم ، وكانت تبرز فيه

(١) قرطبة فى التاريخ الإسلامى / المكتبة الثقافية العدد ٢٧٠ ص ٤٥ .

(٢) نفح الطيب / المقرى ٢ / ٨ .

(٣) نفح الطيب / المقرى ١ / ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) نفح الطيب / المقرى ١ / ٢٠٣ .

كفاءات وقدرات قضائية . وكان القاضى يستمد سلطاته وقوة نفوذه فى تصريف أمور القضاء من منصبه وقوة شخصيته . ولا شك فى أن الحاكم كان يأخذ حذره عند تعيين القاضى، فكان يتشاور مع الوزراء، والشخصيات ذوات الهيبة فى قرطبة، الذين كانوا يشيرون بالمرشحين ، ونادرا ما كان قضاة قرطبة يعينون دون مشاورة سابقة .

وكان لقرطبة قاض واحد، وكان يقوم شخصيا بمزاولة الأعمال . وفى حالة واحدة روى أن الحاكم كان يقرر دورة قضائية بين قاضيين لكل واحد منهما سنة .

ومع ذلك فلم تكن هناك حاجة ماسة لأن يكون القاضى على درجة كبيرة من التعليم ، بل يكتفى بأن يكون على معرفة بينة بالشريعة والفقه .

وإذا كان ثمة تسامح فى تقدير مكانة القاضى العلمية، فقد كانت ثمة صفات لا يمكن إلا أن تتوفر فى القاضى وهى :

* النزاهة، والبعد عن التعصب والهوى، والتزام العدل والحق .

* الصدق والأمانة ، فكانت فتاواهم تقطع الشكوك الشائعة .

* الشجاعة والعدل، والمثابرة فى تصريف الأمور، والميل إلى المساواة المبنية على الشرع ، والتزمت فى تطبيق ذلك مع الكل حتى مع من بيدهم السلطة .

وقد ظهر هذا فى مناسبات مشهورة، كانوا فيها ضد الحكام أنفسهم الذين كان يجب عليهم قبول المعايير الديموقراطية والمساواة أمام العدالة .

* وكان القاضى يختار من الأندلسيين الرسميين .وقد شغلت هذه الوظيفة بصفة أصلية وخلال فترة طويلة بالعرب السوريين أو المصريين ، الذين استوطنوا البلاد .

وكانت سلطة قاضى العاصمة لا تجاوز حدود الإقليم أو المدينة نفسها، وكان للمدن والأقاليم الأخرى قضاة لم يكونوا يعتمدون عليه فى إمامته، وكان قاضى قرطبة يستجوب بعضهم أحيانا حين يوفده الحاكم للقيام بهذا العمل.

٤ — الكتاب ومؤلفه

أشرنا سابقا إلى أن عصر الخشنى كان من أزهى العصور سياسيا واقتصاديا ، وقد صاحب ذلك فترة من الرخاء الاجتماعى انعكست بدورها على سلوك الناس وعاداتهم.

ويقول عن ذلك ابن سعيد :

«ومن محاسن أهل قرطبة طرف اللباس، والتظاهر بالدين، والمواظبة على الصلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم، وكسر أوانى الخمر حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها ، والتستر بأنواع المنكرات ، والتفاخر بأصالة البيت، وبالجندية ، وبالعلم »(١)

وقد تنبه إلى ذلك جوليان ربيرا Julian Ribera فأشار إلى أن فترة الخشنى تعد من أنسب الفترات التى عنيت بالحياة الاجتماعية لأسبانيا الإسلامية خلال حكم الأمراء الأمويين(٢) .

مصادر مادة الكتاب :

استخلص المؤلف مادة كتابه من مصادر مختلفه منها :

* طبقات الشعب المتعددة ابتداء من الطبقات الحاكمة حتى الطبقات الشعبية الدنيا .

*اعتمد في — الدرجة الأولى — على ما كان تحت يده من خطابات تبودلت بين الحكام والقضاة ،

* كما رجع إلى بعض الوثائق الخاصة التى كانت محفوظة عند بعض الأسر، والعائلات .

* ويقال إنه اعتمد أيضاً على بعض الكتب المجهولة الاسم والعنوان .

* وكذلك رجع إلى الروايات التى

---

(١) نفح الطيب / المقرى ٢ /٨ .

(٢ المقدمة الأسبانية لقضاة قرطبة ط : أوربا ١٩١٤ .

كانت تتواتر بين الناس فى ذلك الحين ، ولم تكن المادة المسموعة التى سجلها الكتاب تقل أهمية عما رجع إليه من مصادر . مثال ذلك ما ذكره عن القاضى يحيي بن يزيد التميمى يقول « فقد سمع من أهل العلم سماعاً فاشياً » .

* كان يعتمد على الروايات المتوارثة بين الأجيال مثال ذلك عندما ذكر القاضى مهاجر بن نوفل القرشى .

* * *

على أن الخشنى لم يكن مدققاً فى تقصى الأخبار أو دراستها . و نتقاء الروايات الصحيحة، ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر بعضاً مما قله : من ذلك قوله « رأيت فى بعض الحكايات ٠٠٠/٤٧ ، ذكر بعض أهل العلم ٠٠٠ / ٤٩ أخبرنى من أثق به من أهل العلم ٠٠٠/٥١ ، رأيت فى بعض الكتب ٠٠٠/٥٢ ، ومما يحكيه الناس ويدور على ألسنتهم من أخبار ٠٠٠/٥٨ ، سمعت الأمير ولى عهد المسلمين الحكم ٠٠٠/٩٣ ، حكى بعض أهل العلم ٠٠٠/١١٦ ، أخبرنى غير واحد من أهل العلم ٠٠٠/١٢٨ ، قال خالد بن سعد وأخبرنى ثقة من أصحابنا ٠٠٠ ، وهذا قول بعض أهل الفتيا والعمال المعروفين بالغصب والتعدى ٠٠٠/١٣٥ ، أخبرنى من أثق به من أهل العلم ٠٠٠ ، سمعت بعض رواة الأخبار يحكى ٠٠٠ ، سمعت من يحكى ٠٠٠ ، ومما يحكيه الناس عن ٠٠٠ ، أخبرنى بعض إخوانى ٠٠ » وهكذا .

* * *

والواقع أن الخشنى لم يكن إلا ناقلا للأخبار ، مسجلا لها ، دون ادعاء أو تغيير ، أو إضافات ، وكان فى استطاعته أن يصوغ هذه الأخبار بأسلوب يخفف على القارىء جفاف المادة الموضوعة ، ولكنه آثر أن يعرض ما وصل إليه علمه دون تلوين أو تدخل .

وليس معنى ذلك أن الكتاب يدعو إلى الملل والنفور ، فسوف يجد القارىء كثيراً من المواقف الشيقة ، والروايات ، والأخبار التى

تمثل حقائق حدثت ، ومشاهدات مروية فى معظم الأحيان ، وعادات شعبية كانت سائدة فى ذلك الحين .

وهو فى كل ذلك لم يكن يلجأ للميل والتحيز والانسياق وراء شطحات الخيال ، ولم يكن يميل إلى التعصب السياسى ، أو التملق والمداهنة للحكام ، ولكنه احترم حكام قرطبة الذين كرموه وساعدوه .

* * *

هذا وقد اعتمدنا فى نشر هذا الكتاب على المخطوطة التى نشرها جوليان ريبيرا Julian Ribera بمدريد عام ١٩١٤ .

ولقد حرصنا فى نشرها على أن تمثل النص المأخوذة عنه . فتعمدنا عدم ضبط الأعلام والتراجم تفاديا للوقوع فى أى خطأ ، وذلك لما لاحظناه من اختلاف ضبط العلم الواحد فيما نشر بعد ذلك من كتب المكتبة الأندلسية . لعدم وجود المصادر التى تعيننا على الفصل فى الخلاف .

ولقد صادفتنا فى النص بعض فقرات مبهمة لا تستقيم وسياق النص ولعلها من أخطاء النسخ — فقومناها بما يصح معه المعنى ويستقيم السياق .

مثال ذلك ما جاء فى الأصل ص ٥٣ سطر : ١٠ فى قوله « وكل ما رفع إليه عليك » . وصوابها » وكل ما رفع عليه إليك .

وما جاء فى ص : ٤٦ سطر : ٩ : من قوله « فكتب إلى أمير عبد الرحمن » وصوابها : « فكتب إلى الأمير عبد الرحمن » .

وما جاء فى ص : ٧٤ سطر ١٣ من قوله « من فى واحد » وصوابها : لا فى وقت واحد » . . وهكذا :

وحين كان يتعذر علينا تقويم النص كنا ندعه كما هو مشيرين إلى ذلك فى الهامش بعبارة « كذا بالأصل » .

ونحن بتقديم هذا الكتاب إلى القارىء العربي إنما نضع بين يديه النص الأصلي في أقرب صورة إلى حقيقته ، راجين أن نفتح بهذا ـ أمام الدارسين لتاريخ الأندلس والمهتمين به ـ باباً إلى دراسات متخصصة تسلط مزيداً من الأضواء على تاريخ القضاة في الأندلس خاصة ، وعلى تاريخ رجال الأندلس وأعلامه بوصف عام .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما

حدثنا أبو محمد بن عتاب عن أبيه عن أبي بكر التجيبي :

قال أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني رحمه الله :وصل الله بالأمير الحكم المستنصر رحمه الله ولى عهد المسلمين أسباب السعادة، ومدّله فى مدة العز،وزاده من نعمة التوفيق: أنه لما حسن... الأمير أبقاه الله ، واستحكمت بصيرته سدده الله فى حفظ .. العلوم ومطالعة الأخبار ، وفى معرفة النسب وتقييد الآثار ، وفى الإشادة بفضائل السلف، والتقليد لمناقب الخلف ، وفى التذكير بالمنسى من الأنباء، والإشارة للساكن من القصص وبخاصة ما كان فى مصره قديما وفى عصره حديثا ، جعل الله ذلك سببا قويا لحياة القلوب ، وعلة ظاهرة لنباهة النفوس فتحرك أهل ال . . بما حركهم إليه الأمير الموفق ، فاستحفظوا ما أضاعوا من غرر الأخبار ، وقيدوا ما أهملوا من عيون المعارف واتصلت بجميعهم بركة الأمير أبقاه الله فى ذلك ، وكذلك خير الفضائل ما سطع نوره وانتشر ذكره ، وكان علة لفضائل وسببا لمفاخر ، فالحمد الله الذى جعل الأمير أيده الله إماما فى الخير ، ودليلا فى طرائق الرشد، ومهاديا إلى جميل المذاهب ، وأسوة فى الحسنى، ومفتاحا إلى حميد الأمور، وبابا إلى الفضل هداه الله نعمته، وأدام غبطته و .. عليه فضله ، ووفر من المكارم حظه .

فإنه لما أمر الأمير أبقاه الله بتأليف كتاب القضاة مقصورا على من قضى للخلفاء رضى الله عنهم بأرض المغرب فى الحاضرة العظمى قرطبة، ذات الفخر الأعظم ولعالهم بها من قبل هززت رواة الأخبار فى أخبارهم ، وكاشفت أهل الحفظ عن

أفعالهم ، وسألت أهل العلم عما تقدم من سيرهم قولا وفعلا ،فألفيت من ذلك فصولا تروق المستفهمين ، وقصصا تبهج السامعين ، وأخبارا تدل الناظرين المتعقبين على حصافة العقول وسعة العلوم ، وعلى رجاحة الأحلام وثقافة الأفهام وعلى صدق البصائر ، وصحة العزائم ، وعلى...مال الفضل واستغزار العدل ، وعلى استقامة الطريقة و . . . وعلى ما لمن ستقضاهم من الخلفاء رضى الله عنهم ، وعلى أوصاف الرضية فى حسن الارتياد وجميل الاختيار ، وفى..القضاة بجميل العظاة، وفى إيثار الصدق وتأييد ...ذلك جديد بقضاة مثل هذا المصر الأكبر ، بيضة .... ، ودار الإمامة وحاضرة الجماعة ومعدن الفضائل ، ومسكن الأفاضل : وكرين العلوم ومجمع العلماء وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلها وأكمل حسنها بالإمام العادل والملك الفاضل أمير المؤمنين عبد الرحمن أطال الله بقاءه ، ثم بالمصطفى لعهده المتثل لجده ، جعله الله إماما فى الخيرات ، وعلما فى الصالحات .

قال محمد : لما كان القاضى أعظم الولاة خطرا بعد الإمام الذى جعله الله زماما للدين وقواما للدنيا ، لما يتقلده القاضى من تنفيذ القضايا وتخليد الأحكام فى الدماء والفروج والأموال والأعراض ،وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار ، وكانت العقبى من الله فى ذلك فظيعة المقام هائلة الموقف مخوفه المطلع اختلفت فى ذلك الهمم من عقلاء الناس وعلمائهم فقبل كثير منهم القضاء ،رغبة فى شرف العاجلة ورجاء لمعونة الله عليه وأتكالا على سعة عفوه فيه، ونفر آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة، وحذارا من الله فيما قد يكون منهم وعلى أيديهم .

قال محمد : وقد سلف من رجال الأندلس من أهل حاضرتها العظمى رجال دعوا إلى القضاء فلم يجيبوا وندبوا إليه فلم ينتدبوا رهبة من . . أنفسهم فى منتظر العاقبة .. ،وقدرأيت أن... ذكرهم ووصف مقاماتهم بين يدى خلفائهم وأشفاقهم مما دعاهم إليه أمراؤهم وأن أجعل لذلك بابا

فى صدر الكتاب ، ثم أصير إلى ذكر ولاة القضاء قاضيا فقاضيا على ما كانت عليه دولهم إن شاء الله وأسأل الله جميل المعونة على صواب القول ومحمود الفعل ، فإنه الهادى إلى سواء السبيل .

باب من عرض عليه القضاء من أهل «قرطبة» فأبى من بوله

قال محمد : استشار الأمير عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنهما أصحابه فيمن يوليه القضاء بقرطبة ، فأشار عليه ابنه هشام رحمة الله عليه وابن مغيث الحاجب بالمصعب بن عمران ، فقبل الأمير عبد الرحمن رأيهما وأمر بالأرسال فى مصعب ، فلما قدم أدخله على نفسه بحضرة ابنه هشام وأحمد بن مغيث ، وجماعة أصحابه فعرض عليه ولاية القضاء فأبى من قبولها وذكرا عذارا له فى ذلك ، فردد عليه الأمير عبد الرحمن ، القول وأظهر له العزيمة ، ولم يوسعه العذر فى ترك القبول ، فأصر على الإبانة لها وتمادى على النفور منها ، فلما يئس الأمير عبد الرحمن رحمه الله منه أطرق وجعل يفتل شاربه ، وكان إذا أغضب فتل شاربه ، فالويل للمغضوب عليه حتى خاف من حضر على مصعب من بادرة تكون من الأمير فيه لهول مقامه ، وجعل بعض الحاضرين ينظر إلى هشام بن عبد الرحمن ، وإلى أحمد بن مغيث كالقائلين لهما : ماذا عرضتما بالرجل ؟ فرفع الأمير رأسه ، فقال لمصعب : أذهب فعليك كذا وكذا ، وعلى اللذين أشارا بك ، ولم يكن من عقوبته له فى حميا الغضب أكثر من ذلك ، وخرج مصعب فلحق بمكانه فلم يزل به حتى أفضت الخلافة إلى هشام رحمه الله فأرسل فيه ، وعزم عليه فى القضاء ، وسنذكر ذلك مبينا إن شاء الله .

قال محمد : وذكر أبو مروان عبيد الله بن يحيى عن أبيه أن الأمير هشاما أراد زياد بن عبد الرحمن للقضاء فخرج هاربا بنفسه ، فقال هشام بن عبد الرحمن عند ذلك : ليت الناس كزياد حتى أكفى حب أهل الرغبة وأمنه فرجع إلى مسكنه .

قال محمد : قال لى عثمان بن محمد : سمعت محمد بن غالب يقول : لما بعث الوزراء فى زياد ابن عبد الرحمن ، وعرضوا عليه القضاء عن

الأمير هشام رحمه الله قال لهم : أما إن أكرهتمونى على القضاء فزوجتى طالق ثلاثاً لئن أتى بى مدع فى شىء مما فى أيديكم لأخرجنه عنكم ثم لأجعلنكم فيه مدعين فلما سمعوا ذلك منه عملوا فى معافاته .

قال محمد : وأخبرنى بعض رواة الأخبار قال : لما مات القاضى محمد بن بشير ذكر الأمير الحكم القضاء ،ومن يصلح أن يوليه، فقال : ما أرى غير فقيه البلد محمد بن عيسى الأعشى، ومايمنعنى منه غير إفراط الدعابة التى فيه، وعزم على ذلك من أمره، فقال له بعض الوزراء : لو امتحنت أمره قبل المشافهة كان ذلك رأياحسناً، فأرسل إليه بعض وزرائه ، فنزل عليه وذاكره الأمر ،وأعلمه بما عابه به الأمير من إفراط دعابته، فقال : أما القضاء فإنى والله لا أقبله البته ، ولو فعل بى وفعل ، فلا يحتاج الأمير أبقاه الله أن يكشف إلى وجهه فى ذلك ،وأما الدعابة فعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لم يدعها للخلافة أأدعها للقضاء ؟ فلما بلغ الأمير قوله عافاه ونظر فى غيره .

قال محمد: وكان للأمير الحكم رضى الله عنه قاض بكورة (جيان) فتظلم أهل الكورة منه فعهد الأمير الحكم إلى سعيد بن محمد بن بشير قاضى الجماعة بقرطبة أن ينظر على قاضى (جيان) فإن ظهر بريئاً أقرّه على قضائه وإن ظهر عليه ما رفع إلى الأمير فيه عزله عن الكورة فنظر قاضى الجماعة فألقاه بريئاً فقال له : إنصرف إلى قضائك فقال: إمرأتى طالق وعلى من الأيمان كذا وكذا أبرّ وأوفى من إيمان أبيك التى حلف بها لانظرت بين اثنين حتى ألقى الله، وكان محمد بن بشير قد عزله الأمير فحلف ألاّ يلى القضاء أبداً بطلاق زوجته وعتق رقيقه ،فلماعزم عليه الأمير بعد ذلك فى صرفه أحنث فى أيمانه وطلق الزوجة وأعتق الرقيق وأخلف له الأمير كل ذلك إذ أعلمه به .

قال محمد : وحدثنى عثمان بن محمد قال : حدثنى أبو مروان عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى قال : لما ولى الأمير عبد الرحمن ابن الحكم رضى الله عنهما ألح عليه فى القضاء، وكان صاحب الرسالة فى ذلك ظرفه فقلت له:

المكان الذى أنا به لما تريدون خير لكم إنه إذا تظلم الناس من قاض أجلستمونى فنظرت عليه وإن كنت القاضى فتظلم الناس منى من تجلسون للنظر على من هوأعلم منى أو من هودونى فى العلم فقبل ذلك منى وعافى بى .

قال محمد : قال خالد بن سعيد : كان أحمد بن خالد يحدث أنه لما مات يحيي بن يعمر بقى الناس بلا قاض حتى خطر بهم يوما زرياب راكباً الى البلاط فسألوه أن يخبر الأمير عنهم بما هم عليه من سوء الحال إذ ليس لهم قاض فلما دخل زرياب على الأمير ذكر ذلك له فقال له الأمير : يا زرياب والله ما منعنى من تولية قاض إلا أنى لست أجد أحداً أرضاه غير رجل قال زرياب : فقلت : اصلح الله الأمير ، ومن هو ؟ قال : يحيي بن يحيي غير أنه يأبى على من ذلك فقال له زرياب : فإذ ترضاه للقضاء فاسأله أن يدلك على قاض فقال له الأمير : قلت قولا شديداً فأرسل فى يحيى، وسأله أن يشير بقاض يرضاه إذ لم يقبل هو القضاء فى نفسه، فأشار بإبراهيم بن العباس ،فولاه الأمير قال محمد : قال خالد بن سعد وأخبرنى بعض أهل العلم : أن يحيي أبى أن يقبل القضاء وأبى أن يشير بأحد .

قال محمد : قال خالد بن سعد حدثنى من أثق به عن يحيي بن زكريا عن محمد بن وضاح قال : لما عزم الأمير على يحيي على تولية القضاء فأبى ولجّ عليه قال: فأشر على برجل قال : لست أفعل لأنى إن فعلت شركته فى جوره إن جار ، فأحفظ ذلك الأمير عبد الرحمن فأمر صاحب رسائله أن يكون رقيباً على يحيي وغدا به إلى الجامع ،ودفع إليه الديوان وقال للخصوم . هذا قاضيكم فلبث فى ذلك ثلاثاً فلما ضاق الأمر على يحيي أشار بإبراهيم بن العباس .

قال محمد : وكان عثمان بن أيوب بن أبى الصلت من أهل العلم بقرطبة،وكان ممن بسطت له الدنيا فأبى أن يقبلها وأعرض عنها ، قال خالد بن سعد : سمعت إبنه اسماعيل يقول : عرضت على أبى ولاية القضاء فأبى أن يقبلها واستعفى منها .

قال محمد : وممن عرض عليه القضاء من شيوخ قرطبة فأبى من قبوله إبراهيم بن محمد ابن باز . وكان السبب فى ذلك فيما أخبرنى بعض ولاة الأخبار : أن الأمير رحمه الله محمد بن عبد الرحمن أدخل على نفسه هاشم ابن عبد العزيز يوما فقال له : ياهاشم كنت أرى رؤيا عجيبة فى رجل لا أدرى من هو ، كنت أرى نفس فى المصارة حتى لقيت أربعة من الرجال ركبانا على دواب لهم لم أر فى الرجال أصبح منهم وجوها ولا أبهى منظرا فجعلت أتعجب ، وأنهم طلعوا إلى الحرف فتبعتهم فأخذوا على جهة اليمين حتى انتهوا إلى مسجد تقابله دار فقرعوا باب تلك الدار فخرج إليهم رجل منها فصافحوه ودعوا له وناجوه ساعة ثم زالوا عنه فقلت : من هؤلاء؟ فقيل لى : محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان أتوا لهذا الرجل عائدين فى مرضه ثم قال لهاشم : قد عرفتك بالمسجد والدار حتى كأنى وقفت بك إليها فاذهب فاعرف من صاحب تلك الدار فقال له هاشم : قد عرفتها دون أن أتعرفها هى دار إبراهيم ابن محمد بن باز فقال له الأمير : عزمت عليك لتذهبن متعرفا بحاله ففعل هاشم ثم أتاه بتصحيح ماقال له من قبل ، وأعلمه أن الرجل مريض ، فكان ذلك سببا لأن عرض عليه الأمير قضاء الجماعة وأرسل إليه بذلك هاشم بن عبد العزيز فأبى من قبولها فأعاد إليه الأمير هاشما : إذ لم تقبل القضاء فكن أحد الداخلين علينا الذين نشاورهم فى أمورنا فقال إبراهيم لهاشم : يا أبا خالد : إن ألح على الأمير فى شىء من هذا هربت بنفسى عن هذا البلد . فأعرض الأمير محمد رحمه الله عنه وعن خبره قال لى أحمد بن عبادة الرعينى : كان المنذر بن محمد إذ كان ولدا هو الذى خاطبه فى القضاء. فأبى من قبوله فكان المنذر يقول : لو قبل منى الأمير لأكرهته عليه. قال محمد: وممن جاهد بالاصرار على الاباءة عن القضاء محمد بن عبد السلام الخشنى . فإنه أمر الأمير محمد رحمه الله محمد ابن عبد الرحمن أن يبعث فى الخشنى ويستقضى على كورة جيان فأرسل فيه الوزراء وقالوا : إن الأمير يستقضيك على كورة جيان فأبى

ونفر من ذلك نفوراً شديداً ، فعولج ولوطف فلم يزدد إلا نفوراً وإباءة فكتبوا إلى الأمير بخبره وأنه لج فى أن لا يقبل فوقع إليهم الأمير توقيعا غليظا معناه : إن عاندنا فقد عرض بنفسه ودمه ، فلماسمع ذلك الخشنى نزع قلنسوته من رأسه ، ومد عنقه وجعل يقول : أبيت أبيت كما أبت السماوات والأرض إباءة إشفاق لا إباءة عصيان ونفاق فكتبوا إلى الأمير بلفظه فكتب إليهم أن سلوا أمره وأخرجوه عن أنفسكم فقال له الوزراء : تنظر فى أمرك ليلتك هذه وتستخير الله فيما دعيت إليه ، وخرج عن القوم .

قال محمد : قال خالد بن سعد : ذكر لى محمد بن فطيس أن الأمير محمدا أمر الوزراء أن يرسلوا فى إبان بن عيسى بن دينار وأن يولوه قضاء جيان فلما أرسلوا فيه وعرضوا ذلك عليه استعفى وأبى فأمر الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يوكل عليه الحرس حتى يبلغ جيان ويجلس بها مجلس القضاء والحكم بين الناس فوكل عليه الوزراء الحرس وساروا به ، وأقعدوه لحكم بين الناس يوما واحدا فلما أتى الليل هرب فأصبح الناس يقولون هرب القاضى فرجع الخبر إلى الأمير رحمه الله فقال : هذا رجل صالح ، ولكن يطلب حتى يعرف موضعه فطلب فلما عرف مكانه رضى الأمير عنه ، فلما قدم قرطبه ولاه الأمير صلاة الجماعة بقرطبه .

قال محمد : قال بعض أهل العلم فكان إذا ولى الصلاة ظاهر الخشوع كثير البكاء ، وإذا سلم من صلاة الجمعة لم يلبث ساعة فى المسجد اتباعا للسنة .

قال محمد : كان المنذر بن محمد رحمه الله شديد الإعظام لبقى بن مخلد ، دخل عليه يوم البروز فى المصلى فمنعه من تقبيل يده وأجلسه على جانب من فراشه على رؤس الناس وكان له خاصا وصنيعة قبل ولاية الملك وكان قد قدم إليه بقى بن مخلد البشرى بالخلافة فلما صارت إليه الخلافة وفى له ، وتمادى على ما كان له من الإجلال والإكرام فلما عزل سليمان بن أسود عن القضاء أمر الأمير المنذر فى بقى بن مخلد فعرض

عليه القضاء فأبى من ذلك فذهب إلى استكراهه على ذلك فقال له : ما هذا جزاء محبتى وانقطاعى ؟ فقال المنذر : أما إذ أبيت فما ترى فيمن أشار به الوزراء ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : زياد بن محمد بن زياد فقال له : نعم الحدث . فقال له المنذر فأشر على بقاض ترضاه للمسلمين قال : أشير عليك برجل من آل زياد يعرف بعامر بن معاوية ، فقبل منه المنذر رحمه الله ، وأرسل فى عامر وولاه قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد وممن عرض عليه القضاء فأبى منه أبو غالب عبد الرؤف بن الفرج قال لى أبو محمد قاسم بن أصبغ : نزل موسى بن حدير على أبى غالب بن كنانة فعرض عليه القضاء عن الأمير عبد الله بن محمد رحمه الله فأبى من قبوله .

قال محمد : قال لى بعض أهل العلم لما قدم أبو غالب عبد الرؤف بن الفرج من الحج سلك طريق التقشف والتنسك والتدين ، وكان الأمير عبد الله بن محمد به معجبا . وكان ربما اشتهى رؤيته من غير أن يدخله على نفسه فتعرض رؤيته يوم الجمعة من الساباط عند رواحه من الجمعة فذكره الأمير يوما وقال : لابد من أن نصفه إلى الوزارة أو إلى القضاء ، وكان عبد الله بن محمد بن أبى عبده أقرب الوزراء من أبى غالب محبة ومكانة ، فقال للأمير : ينبغى أن لا يهجم على الرجل حتى يتعرف ما عنده فى ذلك . قال سكن الكاتب : فأرسلنى عبد الله بن محمد إلى أبى غالب فعرضت عليه مراد الأمير ، قال سكن : فتلقانى فى ذلك بالتضاحك والدعابة حتى أطمعنى فى نفسه وجعل يقول : أنتم أشح على دنياكم ، وأضن بها من أن تعطوا منها لأحد شيئا أو تشركوا فى شىء منها صديقا قال سكن : فلما سرت إلى الاستقضاء عليه قال لى : بالله لئن عاودتنى بهذا أو بلغتنى عن الأمير فيه عزيمة لأخرجن من الأندلس .

باب أخبار قرطبة وقضاتها قبل الخلفاء
ذكر القاضى مهدى بن مسلم

قال محمد : فمن قدماء قضاة قرطبة الذين قضوا بها للأمراء العمال الولاة القواد قبل

دخول الخلفاء رضى الله عنهم الأندلس مهدى ابن مسلم وهو من أبناء المسالمة من أهل الدين والعلم والورع ، استقضاه عليها عقبة بن الحجاج السلولى .

حدثنى أحمد بن فرج بن منتيل قال : حدثنى أبو العباس أحمد بن عيسى بن محمد المقرىء بمدينة « تنيس » قال: ولى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى ، فكان صاحب جهاد ورباط وذا نجـدة وبأس ورغبة فى نكاية المشركين وكان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حينا، ويرغبه فيه ويبصره بفضله ويبين له عيوب دينه الذى هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على يديه بذلك الفعل ألفا رجل ، وكان قد اتخذ بالأندلس مقراً مدينة يقال لها « أربونة » . وكان قد عرف مهدى ابن مسلم بالعلم والدين والورع فـكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها وكان قد عرفه مع ذلك بالبلاغة والبيان فلما أراد توليته قال له : اكتب عهـدك عنى لنفسك فـكتب مهدى :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ماعهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدى ابن مسلم حين ولاه القضاء . عهد إليه بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع مرضاته فى سر أمره وعلانيته مراقبا له مستشعراً لخشية الله، معتصما بحبله المتين وعروته الوثقى موفياً بعهده متوكلا عليه واثقا به متقيا منه « فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وأمره أن يتخذ كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إماماً يهتدى بنورهم وعلماً يمشو إليهما ، وسراجاً يستضىء بهما فإن فيهما هدى من كل ضلالة، وكشفاً لـكل جهالة وتفصيلا لـكل مشكل وإبانة لـكل شبهة وبرهاناً ساطعاً ودليـلا شافياً ومناراً عالياً وشفاء لما فى الـكذوب، وهدى ورحمة للمؤمنين .

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد وتولية القضاء الذى رفع الله قدره وأعلى ذكره وشرف أمره، إلا لفضل القضاء عند الله جل جلاله لما فيه من حياة

الدين وإقامة حقوق المسلمين . وإجراء الحدود مجاريها على من وجبت عليه ، وإعطاء الحقوق من وجبت له . ولمارجاعنده فيما يمضيه ويتقدم فيه ويحكم به من إيثار حق الله عز وجل وطلب الزلفى لديه والقربى إليه وأن يحاسب نفسه فى يومه وغده فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها الباهظ عبؤها فانه محاسب وموعد وموعد . وأمره أن يواسى بين الخصوم بنظاره واستفهامه ولطفه ولحظه واستماعه ، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلى به ، ويستأنى بكل عيي اللسان ناقص البيان فإن استقصاء الحجة ما يكون به لحق الله تعالى عليه قاضيا ، وللواجب فيه راغبا فقد يكون بعض الخصوم ألحن بحجته وأبلغ فى منطقه وأسرع فى بلوغ المطلب ، وألطف حيلة فى المذهب وأذكى ذكاء ، وأحضر جوابا من بعض . وإن كان غير الصواب مرماه وخلاف الحق منهاه . فان لم يتعاهد القاضى مثل هذا ويجعله من القربات إلى الله عز وجل بالتحفظ والتيقظ والاستغرابة والاحتراس من أهل الخب واللدد، والعناد والتلبس بشهادات الزور ، وتحيف الحقــوق أهلك القوى الضعيف ، واقتطع حقه وغلب عليه . وفى تقدم القاضى فى النظر فى ذلك والمراعاة له واحتساب ثواب الله فيه اثبات الحق . . الباطل « إن الباطل كان زهوقا» . وأمره أن يكون وزراؤه وأهل مشورته والمعينون له على أمر دنياه وآخرته أهل العلم والفقه والدين والأمانة ممن قبله ، وأن يكاتب من كان فى مثل هذه الحال المرضية ممن فى غير ناحيته ويقابل آراء بعضهم ببعض ويجهد نفسه فى إصابة الحق . فان الله جل ثناؤه يقول فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق محمد عليه السلام «وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله» . وأن يكون حجابه وأعوانه ومن يستظهر به على ما هو بسبيله أهل الطهارة والعفاف ، والطالب لإنفسهم والبعد من الدنس فان أفعالهم منسوبة إليه ومنوطة لديه فاذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ولم يعلق به ريب إن شاء الله .

وأمره أن يديم الجلوس والقعود لمن استرعاه الله أمره وقلده شأنه، وأسند الحكم له وعليه ويقل السآمة منهم، والتبرم بهم ويصرف إليهم قلبه وذهنه وشغله وفكره وفهمه ولسانه بما يوسعهم به عدلا وإنصافا واصلاحا واستصلاحا. فان في ذلك قوة لمتهم وإحياء لتأميلهم وتحقيقا لجميل ظنونهم، وثقة منهم بورعة ونزاهته وطيب طعمته فإن فيهم الضعيف عن التودد والزمن الثقيل، وعليه في كل وقت التعهد ووهنا لأهل التلدد والفجور والتقحم في ملتبسات الأمور، وأن يكون قعوده لهم وتصرفه في النظر بينهم بنشاط وقلة فتور، ليكون ذلك أقوى له وأتقن لما يحكمه ويبرمه من سياستهم وتدبيرهم إن شاء الله. وأمره أن يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ويستقصيها حتى لا يبقى عليه شيء منها، ومن المزكين تزكيتهم ويكثر البحث والفحص عن أمورهم أجمعين، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين والأمانة والثقة والدعة ممن يعرفهم ويبطن أحوالهم، ولا يعجل بإمضاء حكم حتى يستقصي حجج الخصوم وبيناتهم ومركيهم، ويضرب لهم الآجال ويوسع فيها عليهم حتى تنجلي له حقائق أمورهم وتنكشف له أغطيتها. فاذا أتى عليها علما وأيقنها إيقانا لم يؤخر الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده وعند من يشاوره من فقهائه. وأمره أن يطالع بكتبه في الحوادث التي يحتاج فيها إلى المؤامرات فيما أشكل عليه واستغلق له واحتاج إليه في النوازل: إبراهيم بن حرب القاضي ليرد عليه منه ما يعمل به ويمتثله ويقتصر عليه ويصير إليه لتكون موارد أموره ومصادرها ومبتدأ فواتحها بالتسديد، مقرونة خواتمها بالتأييد إن شاء الله.

هذا عهدي إليك وأمري إياك واسنادي إليك ما أسنده، وتفويضي إليك ما فوضت فإنّ تعمل به مؤثرا لرضا الله وطاعته قائما بالحسبة، مؤديا حق الأمانة يكن حجة بين يديك وظهيرا لك. وإن لم تعمل به يكن حجة عليك وإذن أسأل الله أن يعنيك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسددك أنه

خير موفق ومعين ، وصلى الله على محمد
قال محمد : قال أحمد بن فرج فقلت لأحمد ابن عيسى : لقد عظمت همتك إذ حفظت مثل هذا وشبهه من الأخبار القديمة فقال : حفظت هذا زمن الصبا عن جدلي عمر نحو عمرى ، وكان من أحفظ الناس لأخبار المغرب وافتتاحه ، وأخبار بنى أمية عندكم ولقد كان عندى من كتبه أخبار حسان غريبة ، فذهبت بحريق كان فى منزلى .
ولقد بلغنى : أن بعض من عندكم من بنى الأغلب أو غيرهم من الشيعة ادعى هذا العهد وكتب به نصا إلى بعض ولاة القضاء ، وما هو إلا لمهدى بن مسلم . هذا عندى قديما احفظه زمن الصبا عن جدى . فهل عندكم له ذكر ؟ فقلت له : ما سمعت به عندنا ولا باسم مهدى هذا . فقال لى : قد سألت غيرك من أهل بلدك فلم يكن يعرفه فيا عجبى كيف درس خبره عندكم؟ لكنى أظنه لم يعقب فاضمحل خبره بالفتن التى دارت فى بلدكم .

ذكر القاضى عنترة بن فلاح

حدثنى أحمد بن فرج بن منتيل قال : حدثنى أبو محمد مسلمة بن زرعة بن روح بالعريش بالشام وكان شيخا كبيراً قد نيف على المائة فى ما ذكر لى وأدرك حرملة صاحب الشافعى ، وحدثنى عنه وعن أمثاله وذكر لى أنه من موالى بنى أمية وكان ذا علم بأخبارهم القديمة والحديثة وأخبار بلاد الأندلس محبا لهم متشيعا فيهم وكنت قد نظرت يوما فى بعض جوامع بواديهم إلى خطب مكتوبة بخط غليظ فى رق ملصق فى الحائط بحذاء المنبر الذى يخطب عليه ، فكان إذا قعد للخطبة نظر إليها فلم يدخل ، عليه سقط ولا تلعثم، فتكلمت معه فى ذلك وعبت عليهم وقلت لهم : أنتم أهل المشرق المنسوب إليهم البلاغة والخطب على البديهة . وتفتقرون إلى مثل هذا . ما رأيت مثل هذا فى شىء من نواحى المغرب وهم أضعف الناس فى البلاغة بما تقولون فقال لى : قد كان ألطف من هذا عندكم ، وفى بيضة بلدكم وموضع سلطانكم . كان يخبرنى أبى عن جدى أنه كان عندكم بقرطبة قاض فى الزمان يسمى عنترة ابن فلاح وكان تقيا ورعا استسقى يوما بالناس فأحسن فى دعائه وقيامه بالخطبة ، فقام إليه

رجل من عامة الناس فقال له : أيها القاضى الواعظ قد حسن ظاهرك فحسن الله باطنك . فقال له : آمين لنا أجمعين . فهل أضمرت شيئاً يا إبن أخى ؟ فقال له : نعم بتفريغ أهرائك يكمل استسقاؤك فقال القاضى : اللهم انى أشهدك أن جميع ما حواه ملكى من المأكول صدقة لوجهك . ثم آلى أن لا يريم مقامه حتى يقصد داره ، ويفرق جميع ما ادخر قال : فأغيثوا من يومهم غيثا عاما قال لى : وكان هذا القاضى عنترة يقول : متى لحظت الناس لم أصل كلاما فكان إذا خطب سدل على وجهه من ثوبه ، فكان يذكر عنه أن معناه غير ذلك وأن خطبته كانت مكتوبة فى صحيفة مشبكة فى الثوب المسدول على وجهه ، فهذا من نحو ما رأيت عندنا . وهذه الخطب لها آلات واستجماع :

ذكر القاضى مهاجر بن نوفل القرشى

قال محمد : أخبرنى أحمد بن فرج بن منتيل قال : حدثنى مسلمة بن زرعة قال : سمعت أبى يذكر مرارا عن جده ، وكان قد دخل الأندلس يقول : لم أر مثل قضاة الأندلس فى العبادة والورع . قال : رأيت بها قاضيا يدعى مهاجر بن نوفل القرشى كان يجتمع عنده الناس للتحاكم فلا يزال يذكرهم ويخوفهم الله وما يلحق المبطل من سخط الله وعقوبته ، وموقفه بين يديه فى القيامة ثم يذكر ما يلزم القاضى من الحساب بما يجب عليه من التحرى والاجتهاد ، ثم يأخذ فى النوح على نفسه والبكاء معلنا بذلك . حتى كنت أرى الناس ينصرفون عنه باكين خائفين قد تعاطوا الحقوق بينهم ولقد بلغنى فى موته أعظم العجب أنه لما مات رحمه الله وكان لا أهل له ولا ولد دفن بمقبرة لهم بقبلى مدينتهم وبعدوة نهر عظيم لهم ليلا وأظنه عهد بذلك . فلما هيل التراب عليه سمعوا من القبر كلاما فاستمعوه ينادى ويقول : أنذرتكم ضيق القبر وسوء عاقبة القضاء قال : فكشفوا عنه التراب وظنوه حيا فوجدوه مكشوف الوجه ميتا بحاله التى قبر بها .

ذكر القاضى يحيى بن يزيد التجيبى

قال محمد : سمعت من أهل العلم سماعاً فاشياً؛ أن عبد الرحمن بن معاوية الإمام دخل قرطبة وقام بالإمامة والقاضى حينئذ يحيى بن يزيد التجيبى. فأثبته على القضاء ولم يعزله وكان من قبل ذلك يقال له والقضاة قبله : فلان قاضى الجند ، فلما امتنع الفهرى بغرناطة واضطره الأمير عبد الرحمن رحمه الله إلى النزول، واشترط بحضور القاضى يحيى فحضر، وكتب فى كتاب المقاضاة وذلك بمحضر يحيى بن يزيد قاضى الجماعة .

قال محمد : هكذا بلغنى وقد رأيت سجلا عقده محمد بن بشير يقول فيه :

حكم محمد بن بشير قاضى الجند بقرطبة. وإن تسمية القاضى بقاضى الجماعة اسم محدث لم يكن فى القديم .

قال محمد : ولم يختلف على أحد كاتبته فى أن يحيى بن يزيد التجيبى إنما استقضى على الأندلس بالمشرق فقدمها قاضياً ،واختلفت الرواية فيمن ولاه الأندلس فرأيت فى بعض الروايات عن ابن وضاح قال : استقضى يحيى بن يزيد على الأندلس عمر بن عبد العزيز قال : وكان يحيى رجلا صالحاً . وحكى عنه أنه اعتزل الحرب عند دخول عبد الرحمن بن معاوية ولم يغمس يده فى الدماء ، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن أجاب إليها طائعاً .

قال محمد : وقال لى بعض رواة الأخبار: لما قدم بلج بن بشر الأندلس ، وأحدث فى عبد الملك بن قطن الفهرى ما أحدث ، وانتصر أبناء عبد الملك بعبد الرحمن بن عقبة اللخمى وتصرفت الحال بقتل بلج بن بشر اتصل الخبر بحنظلة بن صفوان الكلبى صاحب أفريقية، فوجه إلى الأندلس أبا الخطار حسام بن ضرار الكعبى عاملا عليها ، ووجه معه يحيى بن يزيد التجيبى قاضيا، وكان من عرب الشام الساكنين بأفريقية .

قال محمد : وأخبرنى غير واحد من أهل العلم، أن الأمير عبد الرحمن رحمه الله ، لما دخل القصر تنقاه بنات يوسف بن عبد الرحمن الفهرى وبقية عياله فقال له بعضهن : أحسن يا ابن عم فقد ملكت . فأرسل فى يحيى بن

يزيد القاضى ودفع إليه بقية عيال الفهرى وأمره بالحفظ لهن . فلما خرج عبد الرحمن رحمه الله فى طلب يوسف بن عبد الرحمن إلى جهة ماردة ، خالفه يوسف الفهرى إلى قرطبة وظفر له بجاريتين كان قد علقهما ، فأتاه القاضى يحيى بن يزيد فقال له : يا لئيم . عبد الرحمن ظفر ببناتك وكرائمك فتلوم عليهن حتى نقلن إلى دارك ولم يعرض لهن . وأنت ظفرت بجاريتين له لم يستحقا منه حرمة فأخذتهما !! فتذمم الفهرى ، وقال : والله ما رأيت لواحدة منهما وجها فاقبضهما ، وبرى بهما إليه .

قال محمد : ورأيت فى بعض الحكايات أن محمد بن وضاح ذكر أن ولد يحيى بن يزيد التجيبى ، كان ممن سعى فى الثورة مع يحيى به يزيد بن هشام وعبد الملك بن أبان ابن معاوية بن هشام على الأمير عبد الرحمن وأنه قتل معهما ومع أصحابهما بمنية الرصافة .

ذكر القاضى معاوية بن صالح الحضرمى

قال محمد أبو عمرو ومعاوية بن أبى أحمد صالح بن عثمان المعروف بحرير بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمى ، كان من أهل الشام من حمص يعرف بغناة عبس . دخل الأندلس قبل دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله ، فنزل أشبيلية وكان من جلة أهل العلم ورواة الحديث شارك مالك بن أنس فى بعض رجاله يحيى بن سعيد وغيره ، وروى عن معاوية بن صالح جلة من أئمة أهل العلم منهم سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ، والليث وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وذكر أنه أتاه مالك بن أنس يوماً إلى داره فانصرف عنه دون أن يصل إليه .

قال : وذكر محمد بن وضاح قال : قال لى يحيى بن معين جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت : لا . قال : وما منعكم من ذلك ؟ قلت : قدم بلداً لم يكن أهله يومئذ أهل علم . قال : أضعتم والله علما عظيما .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن: لما وجه الأمير عبد الرحمن رحمه الله معاوية بن صالح إلى الشام ، حج فى سفرته تلك وكتب عنه أهل العراق كثيراً من حديثه .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : ورأيت حديث معاوية بن صالح بالعراق أعز شيء .

ولقد قال لى محمد بن أحمد بن أبى خيثمة : لوددت أن أدخل الأندلس حتى أفتش عن أصول كتب معاوية بن صالح . قال ابن أيمن : فلما انصرفت إلى الأندلس طلبت أمهاته ، وكتبه ، فوجدتها قد ضاعت بسقوط همم أهلها .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : ولقد تتبعت حديثه فى تاريخ أحمد بن أبى خيثمة عند ذكر أهل الشام ونقله لأخبار أهل حمص فلم أجد له فيها إلا حديثين أو ثلاثة . قال أحمد بن زياد : وحدثنى محمد بن وضاح قال : حدثنى يحيى بن يحيى قال : أول من دخل الأندلس بالحديث معاوية بن صالح الحمصى .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم قال : كان معاوية بن صالح راوية لحديث أهل الشام . فطال عمره وكان منفرداً به فى زمانهم ، ومن الدليل على رئاسته وانفراده به أن زيد بن الحباب العكلى ، وهو من رجال أبى بكر بن أبى شيبة مشهور فى أهل الحديث ، رحل إلى الأندلس من العراق وأخذ عنه كثيراً من الحديث .

قال أحمد بن خالد : حدثنا أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار قال : سمعت أبا سعيد الأشج يقول : أبو الحسين زيد بن الحباب مولى لعكل . وسمعت عبدة بن عبد الله يقول :

سمعت زيد بن الحباب يقول : دخلت الأندلس وكتبت عن معاوية بن صالح .

قال محمد : قدم معاوية بن صالح الأندلس قبل دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه أرض الأندلس ، فنزل بأشبيلية فكان بها حتى قدم الأمير عبد الرحمن رحمه الله ، فلما تمت له البيعة واتسقت له الأمور أرسل معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه

بأخته أم الأصبغ ، فأبت عن الانتقال وقالت : كبرت سنى ، وأشرفت على انقضاء أجلى ، ولا طاقة بى على شق البحار والقفار وحسبى أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله .

قال محمد : قال لى محمد بن عبد الملك ابن أيمن وفى سفرته تلك كتب عنه وجوه أهل العلم قال لى : ثم لما صار معاوية إلى الأمير عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام ، وكان فى تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأندلس بالرمان السفرى ، فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ويتأسفون عليها ، وكان فيهم رجل يسمى سفر ، فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به ، وغرسه حتى علق ونما ، وأثمر فهو اليوم الرمان السفرى نسب إليه .

قال محمد : وذكر أحمد بن خالد قال : لما وجه الأمير عبد الرحمن رحمه الله معاوية بن صالح إلى الشام حج فى سفرته تلك ، فلما دخل المسجد الحرام فى أيام الموسم نظر فيه إلى حلق أهل الحديث : عبد الرحمن ابن مهدى ويحيى بن سعيد القطان وغيرهما من نظرائهما ، قصد إلى سارية فصلى ركعتين ثم صار إلى معاوضة من كان معه وذكروا أشياء من الحديث فقال معاوية بن صالح : حدثنى أبو الزاهرية ، حدير بن كريب ، عن جبير ابن نفير ، عن أبى الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع بعض أهل تلك الحلق قوله ، فقالوا : اتق الله أيها الشيخ ولا تكذب ، فليس على ظهر الأرض أحد يحدث عن أبى الزاهرية عن جبير بن نفير عن أبى الدرداء غير رجل لزم الأندلس يقال له معاوية بن صالح فقال لهم : أنا معاوية بن صالح فانفضت الحلق كلها ، واجتمعوا إليه وكتبوا عنه فى ذلك الموسم علماً كثيراً قال محمد :

ولما قدم معاوية بن صالح من الشام على الأمير عبد الرحمن ولاه القضاء والصلاة. وغزا الأمير سرقسطه وغزا معه معاوية بن صالح ، فكان يحيى الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح لبس قباءه وسلاحه ومضى إلى الصف حيث القتال فوقف فيه .

أخبرنى محمد بن عمر بن عبد العزيز قال

أخبرني علي عن ابن أبي شيبة قال : غزا معاوية ابن صالح وهو قاضي الجماعة مع الأمير عبد الرحمن غزاة سرقسطة إذ كان يحارب بها ابن الأعرابي فكان إذا هتف على الجند إلى الخروج خرج معاوية في كتيبة من جند مصر فلا يزال واقفاً في مركزه متوكئاً على قوسه حتى تنجلي الحرب .

قال أحمد بن زياد حدثني محمد بن وضاح . قال: حدثني حرب رجل من أهل شبلار . قال : كنت بقرطبة في مسجدها الجامع في المقصورة يوم جمعة، وكان في الجماعة رجل يتنفل ،ويعلن بالقرآن إلى أن دخل معاوية بن صالح المقصورة وهو يومئذ القاضي وصاحب الصلاة ، فسمع إعلان الرجل بالقراءة فمضى إليه فأخذ قلنسوته من رأسه ، ثم رمى بها إلى ناحية من نواحي المقصورة والناس مجتمعون . ثم قال له عند أذنه : إلى حيث انتهت قلنسوتك ثم ينتهي إذاك . ثم انتهى معاوية إلى موضعه . فلما سلم الرجل سئل عما قال له فأخبر به

قال لي محمد بن عبد الملك بن أيمن كان معاوية خمول في أيام الأمير عبد الرحمن رحمه الله ، فبينما الأمير جالس في السطح يوما إذ نظر إلى معاوية بن صالح خاطرا في القنطرة فذكره وذكر خموله وما صار إليه . فأرسل فيه ووصله وأعاده إلى حسن نظره، قال محمد سمعت من يقول إن سعيد الخير بن الأمير شفع له إلى أبيه عبد الرحمن حتى رضي عنه وأعاده إلى حسن رأيه . قال محمد : وكان معاوية بن صالح قد عقد صهرا مع زياد بن عبد الرحمن وذلك أنه أنكحه ابنة له تسمى حميدة ومنها ولد زياد فعرض لزياد مع ختنه معاوية عارض حفظ يومئذ، وتحدث به، وذلك أن زيادا رغب أن ينظر إلى زوجته في بيت أبيها قبل بنائه بها على ما يفعله بعض الناس ، فتحيل النساء عليه في ذلك ، وأتين به عند العشاء الآخرة فصار في الاسطوان فنفرت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله حتى خرج معاوية إلى الصلاة فسمع حس الدابة فرابه ذلك ، ثم دعا بالمصباح فوجد زيادا في مذود الدابة في بعض زوايا الاسطوان فما

زاد على أن قال استوصوا ... بكم خيرا ثم ثم خرج إلى الصلاة .

قال أحمد بن زياد : أخبرنى عيسى ابن بكر المعلم .

قال: أخبرنى بعض من أثق به ذلك عن عامر بن معاوية وعن غيره قال: خرج معاوية ابن صالح حاجا بعد الحجة التى تقدمت له من أرض الأندلس ، وخرج معه حينئذ زياد بن عبد الرحمن ، فلما قدما المدينة توجه زياد بن عبد الرحمن إلى مالك بن أنس فدخل عليه، وقد كان تقدم له منه سماع فى غير سفرته تلك ، وأعلمه بقدوم معاوية ابن صالح . فسأله أن يأتيه فأتاه فدخلا عليه فسأله معاوية بن صالح عن نحو مائتى مسألة . فأجاب مالك عن جميعها فكشف زياد ابن عبد الرحمن مالكا . وقال له يا أبا عبد الله كيف رأيت معاوية بن صالح ؟ فقال له مالك : ما سألنى أحد قط مثل معاوية بن صالح . ثم كشف زياد معاوية عن مالك . فقال له معاوية ما سألت أحدا مثل مالك .

قال محمد : قال لى أحمد بن حزم قال لى محمد بن عمر بن لبابة كان يوسف الفهرى قد أعطى معاوية بن صالح جارية فأولدها معاوية ، فلما ولى عبد الرحمن بن معاوية قيم على معاوية بن صالح الجارية فاستحقت عليه . فسأل معاوية بن صالح عن مسألة نفسه وما يجب عليه من الحق فيها .

فقال شهدت أبا الزاهرية وقد اختصم إليه فى دعامة فى حائط لرجل استحقها رجل فقضى للمستحق بقيمة الدعامة . وقال إن فى نزعها ضرارا على الحائط . وأنا أرى أن نزع هذه عن ولدها أشد ضررا من ضر نزع دعامة من حائط . فقبل ذلك منه فقومت هكذا . وأشار ابن لبابة بجمع باب كفه على كوعه ولم يكشف لها ذراع . قال محمد بن عمر بن لبابة . وكان اسم الجارية خلة .

قال محمد : قال أحمد بن سعيد قال لى عبد الله بن محمد بن أبى الوليد الأعرج وكانت خلة هذه المذكورة قبيحة وكان لها

خادم فائقة الحسن أسمها سعاد فكان الناس يقولون شتان ما بين خلة وسعاد .

وقال محمد : وقد اختلف قول مالك ابن أنس فى أم الولد تستحق مرة قال : يغرم السيد قيمتها وقيمة ولدها حتى نزلت بمالك بن أنس فى أم ولده فأفتى أن يغرم قيمة أم ولد لا غير .

قال خالد بن سعد أخبرنى محمد بن هشام عن أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن عن محمد ابن وضاح قال شهد الأمير هشام بن عبد الرحمن رحمه الله جنازة معاوية بن صالح فى الربض ومشى فى جنازته قال خالد: قال لى محمد ابن هشام وأخبرنى عيسى الزاهد قال: سمعت يحيي ابن يحيي يقول: مات معاوية بن صالح هاهنا ودفن بالربض .

قال محمد وكان لمعاوية بن صالح أخ يسمى محمد بن صالح عقبه بالشام كثير . لم يدخل أحد منهم الأندلس، قال أحمد بن محمد ابن أيمن قال: رأيت رسالة كتب بها البقية من ولده بالشام إلى البقية من ولد معاوية بالأندلس نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جماعة ولد معاوية بن صالح الحضرمى من جماعة ولد محمد بن صالح الحضرمى تولاكم الله بحفظه وحاطكم بصدقه ومدّ لكم فى نعمته وزادكم من إحسانه .

إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه جعل بين الناس أنسابا يتعاطفون بها ويتواصلون عليها وأوثق عراها وأتقن قواها. وأنتم وهب الله لكم العافية الشعب الأدنى والنسب الأولى. يجمعكم وإيانا الجد المعروف بحدير والقرابة بالقرابة وإن جرى القضاء باغتراب بعض عن بعض، وشحط دار عن دار ماسة لا يوهن أسبابها تقادم الانتزاح، ولا يعفى على واجب حقوقها بعد التزاور ، وما عدمنا أكرمكم الله من أنفسنا تطلعا إليكم ، ولا ترك من رزقه الله الحج منا المسألة عنكم فى حجاج المغرب طمعا فى موافاة بعضكم وتشوقا إلى استفادة علم خبركم . فلم يأذن الله

أن يوافى سائلنا دالاً عليكم ولا مخبرا عنكم . حتى وقع بظنوننا ما يقع مثله بالظنون على فروط الليالى والأيام ومرور الشهور والأعوام ، من الانقراض والنفور حتى أهدى الله لنا علم ما كنا نتطلع إليه منكم، أبعد ما كنا طمعا فيه وأشد يأسا مع حامل كتابنا هذا إليكم وهو: أبو الحارث بشر بن محمد بن موسى القرشى فإنه صار إلى حمص منصرفه من بغداد نافذا إليكم فسأل عنا بفضل ما ألزم نفسه لكم، إذ كنتم على ما ذكر أخواله ، وكانت أمه أم عمرو بنت محمد بن معاوية بن صالح ، وأحب من الانصراف إليكم بخبرنا فأخبر بمكاننا وأرشد إلينا وأتانا منه رجل ظاهر الفضل موسوم بالخير ، معه من خبركم ، وعلم أمركم ما امتلأت به الصدور سرورا وحبورا ، وجعلنا لا نكشفه فى مساءلتنا إياه ، وتقصينا على ما عنده إلا يكشف لنا عما يزيد النعمة علينا فيكم من الله عظما فى تسنية أقداركم وتشريف مذاهبكم ، فالحمد لله رب العالمين ألمان الكريم الذى من علينا بما تناهى إلينا عنكم ، وتقرر عندنا من فضل حالكم . ونسأل الله اتمام ما حبيتم به ويزيدكم من كل خير ويزيدنا بمزيدكم ، وأن يعوضكم وإيانا من الفرقة التى كتبها علينا ، فباعد بيننا وشتت جمعنا ، وأن يجمع بيننا فى جناته ودار رضوانه ومحل أوليائه ، إنه قريب مجيب .

وكتابنا إليكم حجب الله عنكم كل مكروه ونحن من الله فى نعمة وكل بلائه عندنا جميل وحالنا فى خاصة قومنا ، وكافة عترتنا وجندنا الحال التى يحبون أن نكون بها وعليها فى البسطة فيهم والتقدم عليهم . وقد شاهد بشر بن محمد من أمرنا ما لعله سيخبركم به . فحمد لله وشكرا على إحسانه ورغبة إليه فى صالح المزيد ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ذكر القاضى عمر بن شراحيل

قال محمد أبو حفص عمر بن شراحيل المعافرى : أصله من أهل باجه ونزل، بقرطبة فى درب الفضل بن كامل . ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله القضاء بقرطبة بعد معاوية بن صالح ، ثم عزله أودعا

معاوية بن صالح ، فكانا جميعا يتداولان القضاء . عاما معاوية وعاما ، عمر وأقاما بذلك مدة من الدهر ، قال : ولقد حدثنى محمد ابن وضاح عمن أدرك أيامهما ، قال: كان إذا أغفل الأمير رحمه الله عزله عند انقضاء العام ، رفع يذكره بأمره وكان كل واحد منهما. إذا عاقه شغل فى يوم من الأيام لم يقبض لذلك اليوم رزقا .

وأخبرنى من أثق به من أهل العلم قال، قال : لى أبو مروان عبيد الله بن يحيى كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله يديل بين معاوية بن صالح وعمر بن شراحيل عاما هذا وعاما هذا .فولى عمر بن شراحيل عاما من تلك الأعوام فلما انقضى العام أقره على القضاء ولم يحركه ، فكتب معاوية إلى الأمير عبد الرحمن يحركه فى ولايته ويعلمه أن عام صاحبه قد انقضى .

فلما قرأ الأمير عبد الرحمن كتابه أنكره واستفظعه وأمر بإدخال معاوية على نفسه . فلما دخل إليه قال هذا كتابك ؟ قال: نعم قال: يطلب ومثلك ولاية القضاء وقد علمت ماجاء فى ذلك من الأثر فيمن طلبها وكل إلى نفسه فيها فقال أصلح الله الأمير ، وليتنى القضاء فى أول مرة وأنا كاره ، فتوليته فلما تولى رأس الشهر رزقتنى رزقا واسعا توسعت به ثم استمر الرزق كل شهر حتى عزلتنى عند رأس العام فاستقبلت العام الثانى الذى كنت فيه معزولا بفضول من رزق العام الأول فانقضت تلك الفضول بانقضاء العام ، ثم وليتنى فعاد على الرزق فكانت هذه حالتى إلى هذا الوقت ، وقد انقضت فضولى الباقية من رزق العام الأول وانقضى العام فانتظرت الولاية التى يكون بها الرزق فأبطأت عنى فكتبت إلى الأمير مذكراً مع أنه إن طلبت الولاية فقد طلبها من ظله فى الأرض خير منى ، يوسف عليه السلام قال « اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم » فقبل الأمير قوله منه وأمر بعزل عمر بن شراحيل وتولية معاوية .

قال محمد : وقد تكررت الأمانة وقضاء الكور فى نسل عمر بن شراحيل وقد ولى منهم رجل يكنى بأبى سعيد واسمه محمد بن عمر

قضاء جيان واستجة ، وكان مقدما عند الخاصة رفيع الدرجة عند العامة وعقبه كثير .

ذكر القاضي عبد الرحمن بن طريف اليحصبي

قال محمد : قال أحمد بن خالد : كان من شأن الخلفاء رحمهم الله السؤال عن أخبار الناس، والكشف عن أهل العلم والخير منهم، والتعرف لأماكنهم من قرطبه أو غيرها من الكور فكانوا إذا احتاجوا إلى رجل يصلح لخطة من خططهم استجلبوه واحتاج الأمير عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله إلى تولية قاضي جماعة بقرطبة وكان قد بلغه عن رجل بماردة، صلاح وصلابة وورع، فاستجلبه وولاه فسار في القضاء بأفضل سيرة .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : وممن ولي القضاء لعبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنهما عبد الرحمن بن طريف من ساكني مدينة ماردة ، وكان رجلا صالحا محمود السيرة، ولقد قرأ على القاضي أحمد بن محمد ابن زياد صكا فيه ذكر مال وقفه عبد الرحمن ابن طريف لأم العباس ، وأم الأصبغ، أختي الأمير عبد الرحمن بن معاوية . وكان في ذلك الكتاب عند ذكر التوقيف إذ كان المتوفى فلان مولاهما ، ووجب لهما ميراثه وهما غائبتان في الشام .

قال محمد قال خالد بن سعد : سمعت محمد ابن ابراهيم بن الجباب يقول عمن حدثه : أن الأمير رحمه الله عبد الرحمن بن معاوية دخل عليه حبيب القرشي ، فشكى إليه بالقاضي عبد الرحمن بن طريف ، وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة قيم فيها عنده، وادعى على حبيب فيها الغضب، والعداء ، فأرسل الأمير رحمه الله في القاضي وتكلم معه في ذلك وأمره بالتثبت ونهاه عن العجلة فخرج ابن طريف من فوره وأرسل في الفقهاء والعدول فنفذ القضية على حبيب ، وسجل وأشهد فدخل حبيب على الأمير ووصفه بالبغضة له ، والاستخفاف به فغضب الأمير غضبا شديدا وأرسل إلى القاضي بن طريف وأدخله على نفسه ثم قال له : من أقدمك أن تنفذ الحكم بعد أن أمرتك بالتثبت والأناة ، فقال له ابن طريف : أقدمني الذي أقعدك هذا المقعد، ولولاه ماقعدته . فقال له الأمير : قولك هذا أعجب من فعلك . ومن

أقعدنى هذا المقعد ؟ فقال: رسول رب العالمين فلولا قرابتك منه ماقعدت هذا المقعد ، وإنما بعث بالحق ليقضى على القريب والبعيد . . ثم قال له القاضى : أيها الأمير. ما الذى يحملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض وأنت تجد من ذلك وجها أن ترضى به من تعنى به من مالك فقال له الأمير فلعل الذين استحقوا الضيعة أن يبيعوها فاشتريها لحبيب من مالى وأرضيهم فى ثمنها فقال له ابن طريف إذا أرسل فى القوم وأخاطبهم فى ذلك فإن أجابوا إلى البيع وإلا فإن حكمى قد نفذ فخرج القاضى فأرسل فى القوم وتكلم معهم فى الضيعة فأجابوا إلى البيع إن أجزل لهم الثمن .

فكان حبيب يقول بعد ذلك: جزى الله عنى ابن طريف خيرا. كانت بيدى ضيعة حرام فجعلها ابن طريف حلالا .

قال محمد وسمعت بعض أهل العلم يقول: إن حبيبا كانت له مع ابن بشير قصة تشبه هذه القصة : فكان حبيب يلقاه من بعد فيقول : يأبى أنت . أردنا أن نأكل الحرام فأبيت إلا أن تجعله حلالا .

ذكر القاضى المصعب بن عمران الهمدانى

قال محمد هو المصعب بن عمران بن شفى ابن كعب بن كعبر بن زيد بن عمرو بن امرىء القيس ابن زيد الهمدانى، من العرب الشاميين ومكتبه فى جند حمص ، دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن ابن معاوية رضى الله عنهما فنزل بكورة جيان بقرية باذو ، ثم رحل إلى موضع من عمل قرطبة بجوفى المدور الأدنى إليها، وكان سكناه بقرية تعرف بغليار فى الجبل من إقليم المدور ، وكان أبوه عمران من جند هشام، بن عبد الملك بالشام ، وكان قد تزوج امرأة من بنى حاطب بن أبى بلتعة . . وتزوج الأمير عبد الرحمن أخت تلك المرأة، وولد له منها سليمان ابنه ، والسيدة ابنته، وقد لحقت بقرطبة مع أبيه ودفنت بمقبرة الربض.

قال محمد: ورأيت فى بعض الأخبار هشام بن عبد الرحمن رحمه الله : لما أدرك وخرج من القصر إلى داره انتهى زهد مصعب بن عمران، وورعه ، فاستجلبه إلى نفسه واستخاصه وجعله وزيره وسميره فلما

احتاج الأمير إلى قاضى جماعة ، أشار هشام بالمصعب فقبل ذلك منه الأمير ، فدعا مصعبا إلى القضاء ، فأبى منها على ما وصفته فى صدر الكتاب فى باب من عرض عليه القضاء فأبى من قبوله وانصرف إلى منزله .

قال محمد: قال لى بعض رواة الأخبار: فلما ولى الخلافة هشام بن عبد الرحمن رحمهما الله أرسل فى مصعب بن عمران إلى ضيعته فذكر أنه أتاه الرسول وزوجته تنسج فى منسج لها والمصعب بين يدى المنسج يعمل لها الوشائع ، ففتحت المرأة بأصبعها فى المنسج ثم قالت له: ترد القضاء أيضا على هذا الأمير كما رددته على أبيه ، ثم ترجع إلى وشائع المنسج، فلما قدم المصعب على هشام قال له قد علمت أنه إنما منعك من قبول القضاء من أبى الأخلاق التى كانت له، وقد عرفت أخلاقى، فتولى القضاء فأبى عليه فعزم عليه هشام رحمه الله عزما شديدا حتى ولى القضاء وكان يخطب بالناس ويصلى بهم إذا غاب الأمير هشام فاشترط على الأمير هشام إذا قبل منه القضاء أن يأذن له فى اطلاع ضيعته كل يوم سبت ، يوم أحد ، فرضى له بذلك .

وكان مسكنه بقرطبة إذ ولى قضاءها برحبة عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية رحمهم الله ، وكان كاتبه محمد بن بشير المعافرى، وكان مصعب فى قضائه من أهل العدل والسيرة المحمودة صلبا فى الحق منفذا له على الخاصة والعامة وكان ذلك أيام هشام رحمه الله ، ثم توفى هشام فأقره الحكم بن هشام رضى الله عنه على قضاء الجماعة وعلى الصلاة ، وكان يعرف صلابته وتنفيذه فكان يؤيده ولا يفت فى عضده ويجيز أفعاله وينفذ أحكامه وإن وقعت منه بغير المحبوب .

قال محمد ورأيت فى بعض الحكايات أن العباس بن عبد الله المروانى غصب ضيعة من رجل . بجيان ، وتوفى الرجل وترك أطفالا فلما بلغوا وانتهى إليهم عدل مصعب ابن عمران قدموا قرطبة وأنهوا إليه مظلمتهم وأثبتوها عنده فبعث القاضى فى العباس بن عبدالله وأعلمه ماذكره القوم وعرفه بالشهود عليه وأباح له المدفع وضرب له أجلا بعد

أجل فلما انصرمت الآجال وعجز عن الدفع أعلمه أنه ينفذ الحكم عليه فدخل العباس على الأمير الحكم رحمه الله وسأله أن يوصى القاضى بالتخلى عن النظر وأن يكون الأمير الناظر بينه وبين خصمه فدعى الأمير بفتى له يسمى « بزنت » وأوصاه إلى مصعب ابن عمران بأن يتخلى عن النظر فلما أدى الفتى الوصية قال له مصعب : إن القوم قد أثبتوا حقهم ولزمهم فى ذلك عناء طويل ونصب شديد لبعد مكانهم وقد ثبتت دعواهم ولست أتخلى عن النظر حتى أحكم لهم فرجع الفتى وأدى ما قال إلى الأمير رحمه الله فجعل العباس يغريه ويقول له : قد أعلمت الأمير باستخفافه وأنه يرى أن الحكم له لا للأمير. فصرف الأمير الحكم رحمه الله الفتى إليه يقول له : لا بد أن تكف عن النظر بينهم وأن أكون أنا الناظر فى ذلك . فلما عاد الفتى إلى مصعب بذلك من عند الأمير أمره بالقعود ، ثم أخذ كتابا فعقد حكمه للقوم بالضيعة ثم نفذه بالإشهاد فيه ثم قال للفتى : إذهب فأعلمه أنى قد أنفذت ما لزمنى إنفاذه من الحق، فإن أراد أن ينقضه فذلك إليه يتقلد منه ما شاء. فذهب الفتى فحرف كلام القاضى، ونقل عنه إلى الأمير أنه قال قد حكمت بحكم العدل فينقضه الأمير إن قدر، فأطرق الأمير الحكم رحمه الله، وجعل العباس يغريه ويوقد غضبه، وثاب إلى الحكم من توفيق الله وعصمته التى اكتنف بها خلفاءه ما صار به إلى ما هو أشبه بخلافته وأليق بإمامته فقال للعباس : ما أشقاه من لطمه قلم القاضى . ثم رجع إلى ما كان فيه ولم يعرض للقاضى ونفذ له حكمه .

وذكر بعض أهل العلم قال : اعتل مصعب فى ضيعته فكشف عنه الأمير الحكم رحمه الله ، فذكرت له علته فخرج متنزها إلى جهة المدور ،فقصده إلى داره ونزل عليه فى منزله فقال له مصعب : إن الأمير أعزه الله قد خرج للتروح، فإن رأى أن يكون صدره على فليفعل فاستعد له بطعام يصيبه، فركب الحكم رحمه الله فقضى من تروحه وطرا ثم انصرف إليه فأحضر طعامه ثم نظر الحكم إلى خادم

لمصعب تسمى «علة» فاستسقاها ماء فقال لها مصعب : كنى يا علة ونادى بابنة له تسمى ككوية فقال لها : اسقى مولاك ماء فقامت الصبية،وسقته وتولت خدمته ، فقال له الحكم رحمه الله ؟ هذا لقب أو اسم؟فقال له بل اسم جدتى أم حاطب بن أبى بلتعة ، فسماها النساء به على عادتهن فى الأسماء ، فقال له الأمير الحكم رضى الله عنه إن وهبنى الله ابنة سميتها باسمها فولدت له ابنة فسماها بذلك الاسم ، وهو أول من سمى بهذا الاسم من الخلفاء رضى الله عنهم . وتوفى مصعب من تلك العلة وترك ولدين، وعقبه باق ، ولم تزل الخلفاء رضى الله عنهم على محافظة لهم .

قال محمد : وأخبرنى بعض رواة الأخبار أنه توافى على باب الأمير الحكم رحمه الله جملة من الناس شتى يذكرون كفايتهم فى الخدمة، ويسألون الأمير أن يشتروا له من مواليهم ثم أمر أن يسألوا عن أسماء مواليهم فكان فيهم عبد لولد مصعب فأمر الحكم رحمه الله بزجره وقال : من يخدم ولد القاضى؟ لو مات لهم هذا العبد لا خلفت لهم مكانه فكيف أن أنزعه منهم ؟

قال محمد : ولم يكن مصعب بالمتسع فى علم السنن ولا فى رواية الأخبار. قال أحمد بن زياد : حدثنى محمد بن وضاح قال : حدثنى يحيى بن يحيى أن زياد بن عبد الرحمن أول من دخل الأندلس بالفقه والحلال والحرام وهو أول من أظهر سنة تحويل الأردية فى الاستسقاء ،وصاحب الصلاة والحكومات يومئذ ابن شفى فقال على الجهل منه — هذا قدر نشرة قال يحيى فخرجت من هاهنا إلى المشرق ولقيت مالك بن أنس والليث ابن سعد ومن دونهما فوجدت سنة تحويل الرداء معروفة فاشية .

قال محمد: وذكر عبدالملك بن الحسن قال : سمعت محمد بن بشير يقول : سمعت مالك بن أنس يقول: تكاد أحاديث بن عمران تكون سيرا : قال محمد : فلا أدرى أى ابن عمران أراد ؟ إن كان مصعب ابن عمران لأن ابن بشير كان كاتبه فلعله كان يحكى

له أخباره وأراد، محمد بن عمران الطلحى قاضى المدينة. والأقرب أن يكون المراد مصعب بن عمران لمجالسة ابن بشير له وأنه كان كاتبه وأعرف الناس بأخباره.

ذكر القاضى محمد بن بشير المعافرى

قال محمد: كان محمد بن بشير بن شراحيل المعافرى، أصله من جند باجة من عرب مصر، قال أحمد بن خالد طلب محمد بن بشير القاضى العلم بقرطبة عند شيوخ أهلها حتى أخذ منه بحظ وافر ثم كتب لأحد أولاد عبد الملك بن عمر المروانى لمظلمة نالته على وجه الاعتصام به. وتصرف معه تصرفا لطيفا ثم انقبض عنه وخرج حاجا.

قال محمد: وكتب محمد بن بشير فى حداثته للقاضى مصعب بن عمران ثم خرج حاجا فلقى مالك بن أنس وجالسه وسمع معه وطلب العلم أيضا بمصر ثم انصرف فلزم ضيعته فى باجة.

قال محمد: أخبرنى من أثق به من أهل العلم قال: لما توفى المصعب بن عمران شاور الحكم رضى الله عنه العباس بن عبد الملك المروانى فيمن يوليه قضاء قرطبة فقال له العباس: إن معصب ابن عمران وإن كان حكم على فأغضبنى فنافرته ونابذته فليس ذلك بالذى يبلغنى إلى الطعن عليه فى فضله وحسن اختياره. وقد كان اختياره وقع على محمد بن بشير فاستكتبه معرفتى أنا بابن بشير إذ تولى الكتابة لأخى ابراهيم، فقبل الأمير رحمه الله رأى العباس وأمر بإستقدام محمد بن بشير.

قال محمد: رأيت فى بعض الكتب أن محمد بن بشير لما أتى فيه رسول الأمير أتى وهو لا يعلم ما يراد به، فلما صار بسهلة المدور مال إلى صديق له كان بها من العباد فنزل عليه وتحدث معه فى أمر نفسه وذكر أنه يتوقع أن يضم إلى الكتابة التى تخلى عنها فقال له صديقه العابد ما أراك إلا بعث فيك للقضاء. لأن القاضى توفى بقرطبة وهى الآن

بلا قاض فقال له ابن بشير : إذا قلت هذه المقالة وتوهمت هذه الحالة فأنا أستشيرك فى ذلك وأسألك أن تنصح لى ، وتشير بالصواب على، فقال له العابد : أسألك عن أشياء ثلاثة فاصدقنى فيها ثم أشير عليك بعد ذلك. فقال له محمد بن بشير : ما هى ؟ قال له : كيف حبك لأكل الطيب ولباس اللين وركوب الفاره ؟ فقال له : والله ما أبالى ما رددت به جوعتى وسترت به عورتى وحملت به رجلى، فقال له العابد : هذه واحدة ثم قال له : كيف للتمتع بالوجوه الحسان وما يشاكل ذلك من الشهوات ؟ فقال له محمد بن بشير : هذه حالة والله ما استشرفت نفسى قط إليها ، ولا خطرت ببالى ، ولا اكترثت لفقدها فقال له العابد : هذه ثانية فكيف حبك لمدح الناس وثنائهم عليك وكراهتك للعزل وحبك للولاية؟ فقال له : والله ما أبالى فى الحق من مدحنى أو من ذمنى وما أسر بالولاية، ولا أستوحش للعزل فقال له العابد : فاقبل القضاء فلا بأس عليك فقدم قرطبة فولاه الحكم رحمه الله قضاء الجماعة والصلاة .

قال محمد : فمن مستفيض الأخبار التى لا يتواطأ على مثلها ، أن محمد بن بشير من عيون قضاة الأندلس ومن وجوه أهل القضاء بها، كان شديد الشكيمة ماضى العزيمة مؤثرا للصدق صلبا فى الحق لا هوادة عنده لأهل الحرم، ولا مداهنة فى أحكام السلطان، ولا يعبأ على جميع أهل الخدمة ، ولا على من لاذ بالخليفة من جميع الطبقات .

قال أحمد بن خالد : كان أول ما أنفذه محمد بن بشير من أحكامه التسجيل على الأمير الحكم رحمه الله فى أرجاء القنطرة ، إذ قام عنده فيها بعض من قام فسمع من البينة فيها ثم أعذر إلى الأمير رحمه الله ثم سجل فيها وأشهد ثم ابتاعها للأمير الحكم بعد ذلك ابتياعاً صحيحا فكان الأمير الحكم بعد ذلك يقول : رحم الله محمد بن بشير فقد أحسن فيما

فعل بنا، كان فى أيدينا شىء مشتبه فصححه لنا وصار حلالا طيبا فطاب لنا ملكه .

قال محمد بن وضاح : حكم محمد بن بشير على ابن فطيس ولم يعرفه بالشهود فرفع ابن فطيس بذلك إلى الأمير الحكم رحمه الله فأوصى الأمير إلى ابن بشير أن ابن فطيس ذكر أنك حكمت عليه بشهادة قوم ولم يعرفه بهم ، وأن أهل العلم يقولون إن ذلك له، فكتب إليه ابن بشير: ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه لأنه إن لم يجد سبيلا إلى تجريحهم طلب أذاهم فى غير ذلك حتى يجليهم من أموالهم .

قال خالد بن سعد: أخبرنى محمد بن فطيس قال: حدثنا يحيى بن يوسف بن يحيى المعافرى أنه سمع عبد الملك بن حبيب يذكر محمد بن بشير فقال : كان من خيار المسلمين ، وذكر عدله قال عبد الملك :وكان يصلى بنا الجمعة وعليه قلنسوة خز .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم قال : كان محمد بن بشير يقضى فى سقيفة معلقة بقبلى مسجد أبى عثمان ، وكانت داره فى الدرب الذى بقبلى ذلك المسجد وكان إذا قعد للقضاء جلس وحده لا يجالس معه أحد وخريطته بين يديه ، يتولى أكثر الكتاب بيده فيتقدم الخصوم على كتبه فيقف الخصمان على أقدامهما فيدليان بحجتهما ، ثم يفصل بينهما وينصرفان ، وكان يقعد لسماع الخصومة من غدوة إلى قبل الظهر بساعة، ثم يقعد بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر لا يكون نظره غير السماع من البينات، ولا يسمع من بينة فى غير ذلك الوقت، وكان لا يخاليه أحد فى مجلس نظره ولا فى داره ولا يقرأ كتابا لأحد فى سبب من أسباب الخصومة .

قال محمد بن وضاح : ولما ولى القضاء محمد بن بشير طبع طابع عشرة، فلم تزل فى خريطته إلى أن مات. كان إذا أتاه الرجل يسأل الطابع كشفه فيمن يحبه، فإن كان قريبا بقرطبة أعطاه طابعا ،وأمر الكاتب بزم اسمه ومسكنه وفيمن أخذ الطابع ويقول : إياك إن كنت ظالما أن تقدم على أحد بطابعى

ويعهد إليه بصرف الطابع بعينه وإن كان بعيدا أجل له بقدر ذلك فلم تزل تلك الطوابع تتردد على يديه حتى توفى . وذكر بعض الرواة قال : شهد رجل من أكابر أهل زمانة مع رجل كان رفيقا للقاضى فى حجة ، وكان الناس يعدونه أثيرا عنده ، وأمينا لديه فقال للمشهود له : زدنى بينة وشاع ذلك فى الناس وعلموا أن الشاهد الأول قبله وأن صديقه ورفيقه هو المردود الشهادة فقل له الخصم ، يعرفنى القاضى بمن قبل من شاهدى وبمن لم يقبل لأعدله فقال له : الذى لم أقبل لا ينفعك تعديله عندى وهو فلان صاحبى ورفيقى قال : فلما تكلم بذلك القاضى أتاه رفيقه ذلك فى مجلس النظر على عيون الناس فقال له : أيها القاضى قد علمت أنى لا أقدر على مخالاتك وسؤالك عما أحب أن أسألك عنه إلا فى هذا الملأ ، وقد رأيت أن أوقف نفسى بين يديك هذا الموقف وأسألك عن السبب الذى أوجب ردك لشهادتى فقد علمت أنه جمعنى بك المنشأ ، والحضار ، وطلب العلم ، وطريق

الحج واطلعت من باطنى على مثل ما اطلعت من باطنك فعرفنى السبب الذى أنكرت على لأعرفه وأعترف بخطئى فيه أمام هذه الجماعة ، فقال له ابن بشير صدقت . قد جمعنى بك ما ذكرت وعرفتنى كما وصفت وما أعثرت لك من خربة فى دينك ولكن صدرنا عن الحج ونزلنا بمصر وابتدأنا بالسماع من شيوخنا وعملنا على المقام بها ، فقلت لى إن الغربة قد اضرت بى وإنى أحببت ابتياع جارية فحسنت ذلك لك واستعرضت الرقيق فقلت لى : إنى وجدت جارية تساوى على وجهها كذا وكذا وبيدها صنعة ، ويسأل بها صاحبها من أجل صنعتها كذا وكذا أكثر مما تساويه بغير صنعة ، فقلت لك لا حاجة بك إلى صناعتها ، وأما أن تبتاعها للمتعة فدعها وابتع غيرها فإنها تقوم لك مقامها فلا معنى للزيادة فيها فأظهرت منى القبول ومضيت فابتعتها وزدت فيها على قدرها ، فلما رأيت الشهوة قد غلبتك فى ابتياع تلك الجارية وإتلافك المال فى المغالاة فيها خشيت أن تكون

مثل تلك الشهوة قادتك إلى هذه الشهادة لمال تأخذه ، أو ميل تميله فاحتطت لدينى ولم أجدنى فى سعة من قبول شهادتك.

قال محمد : وشهد عنده رجل من إخوانه من أهل الخاصة به والتكرر عليه يكنى بأبى اليسع فرد شهادته فبلغ الرجل ما كان منه فتصدى له رائح إلى الجامع ماشيا فقال له : على خاصتى بك ، ومحبتى لك ، ترد شهادتى عندك ؟ فقال له محمد بن بشير : الورع يا أبا اليسع ، الورع يا أبا اليسع ، مرتين لم يزده على ذلك : قال محمد بن أحمد الشيبانى الزاهد : سمعت محمد بن وضاح يقول : أخبرنى من كان يرى محمد بن بشير القاضى داخلا على باب المسجد الجامع يوم جمعة ، وعليه رداء معصفر وفى رجليه حذاء يصر وعليه جمة مفرقة ، ثم يقوم فيخطب ويقضى وهو فى هذا الزى وإذا رام أحد من دينه شيئا وجده أبعد من الثريا .

قال محمد : ومما يحكيه الناس ويدور على ألسنتهم من أخبار محمد بن بشير أنه أتاه رجل لا يعرفه فلما نظر إلى زى الحداثة من الجمة المفرقة والرداء المعصفر ، وظهور الكحل والسواك وأثر الحناء فى يديه لم يتوسم عليه القضاء ، فقال لبعض من يجلس إليه : دلونى على القاضى فقيل له : ها هو ذا وأشير له إلى القاضى فقال لهم : إنى رجل غريب وأراكم تستهزءون بى . أنا أسألكم عن القاضى وأنتم تدلوننى على زامر ، فزجر من كل ناحية وقال له ابن بشير : تقدم فاذكر حاجتك فلما أيقن الرجل أنه القاضى تذمم واعتذر ، ثم ذكر حاجته فوجد من العدل والإنصاف فوق ظنه .

قال محمد : وكان محمد بن عيسى كثير النادر كثير التطنيب فكان إذا رأى الرجل من أصحاب محمد بن بشير قال له : متى رأيته عشر الدلال ومتى تمضى إلى عشر الدلال ، فبلغ ذلك محمد بن بشير من قوله ، واستفاض عنده فأحفظه ذلك ، فلما اجتمع معه عطف عليه محمد بن بشير فقال له أبا عبد الله : إن الشر لا يعجز عنه أحد وكل من رضى به قدر عليه وإن الخير لا يناله إلا أهل

الصبر ، ومن يقوم على نفسه بالرياضة المحمودة فاقصر عما بلغني عنك فإنه أجمل بك

قال محمد : وهذا المعنى الذى أتى به محمد ابن بشير قد قاله مالك بن أنس لبعض الشعراء ، حدثنى به بعض أهــل العلم بمدينة تونس قال : اختصم رجلان إلى عامل المدينة أحدهما شاعر ، فرفعهما إلى مالك بن أنس ليفصل بينهما ، فتــكلما عند مالك بن أنس وتناظرا ، فحــكم مالك على الشاعر لصاحبــه فقال الشاعر وقد أحفظه فتيا مالك عليه : أتظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاء الذى قضيت به على ؟ إنما صرفنا إليك لتصلح بيننا فلم تفعل أما والله لأقطعن ظهرك هجاء ، ثم خرج عنه فأمر مالك بن أنس أن يصرف إليه فصرف فقال له : يا هذا ، تدرى بأى شىء وصفت نفسك ؟ بالسفه والدناءة وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد ، ولــكن عليك بما تنقطع الرقاب دونه ، وهــو الــكرم والمروءة حــدثنى أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن قال : حدثنى أبى عن أبيه قال : كان فيما يجاورنا شيخان من أهل العدل فى ذلك الزمان وكانا صديقين لمحمد بن بشير متكررين عليه يظن بهما خيرا ويحتسب عنــدهما فضلا ، كان أحدهما جد أحمد بن بشير المعروف بابن الأغبس ، فتوفى رجل من تجار قرطبة عظيم النعمة ، فقام مملوك له عند القاضى محمد بن بشير ، يذكر أن مولاه المتوفى أعتقه ، وأنه أنــكحه ابنته وأوصى إليه بماله ، فدعاه بالبينة على ما ادعاه ، فأتاه بالشيخين فشهدا عنده على مازعم المملوك فأنفذ شهادتهما وقضى للملوك بما قال ، ثم لم يلبث أحد الشاهدين إلا مدة يسيرة ، حتى حضرته الوفاة ، فأوصى إلى القاضى أنى أريد أن أراك ، وكان على القاضى حضور جنازة بمقبرة بلاط مغيث ، فلما صدر عنها دخل عليه ، فلما بصر به الشاهد وهو فى مرضه وكربه يعالج الموت جثا على ركبتيه وجعل ينجز إليه ، فقال له القاضى : ما شأنك ما عرض لك ، وظن به خبالا من العلة التى به ، فقال له الرجل : أنا فى النار إن لم تنقذنى منها قال له محمد بن بشير يجيرك الله من النار إن شاء الله فما خبرك ؟ فقال له الرجل : الشهادة التى

شهدت بها عندك لفلان المملوك، مملوك فلان لم يكن شيء منها، فاتق الله وافسخ الحكم وانقض ما انعقد منه، فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه فى ركبتيه، ثم قام وجعل يقول: مضى الحكم وأنت إلى النار، مضى الحكم وأنت إلى النار، وخرج عنه.

قال خالد بن سعد: أخبرنى محمد بن عبد الأعلى عن حدثه، أن محمد بن بشير ولى القضاء بقرطبة مرتين، وأنه لما عزل المرة الأولى انصرف إلى بلده. قال خالد بن سعد: سمعت أحمد بن بقى القاضى يقول: كان بعض إخوان محمد بن سعيد بن بشير يعاتبه فى صلابته ويقول له: أخشى عليك العزل، فكان يقول: ليته، من قد رأى الشقراء يعنى بغلته تقطع بى الطريق إلى باجة فما مضى إلا يسير حتى حدثت حادثة أظهر فيها ابن بشير صلابة، فكانت سببا لعزله كما يتمنى، فلم يلبث إلا يسيرا حتى أتى فيه ركاض من قبل الأمير رحمه الله، فرفعه إلى قرطبة فلما كان ببعض الطريق عدل إلى صديق له من أهل الزهد، فاجتمع معه وقال له: قد أرسل فى الأمير أنه يريد إعادتى إلى القضاء مرة ثانيه فما ترى؟ فقال له صديقه الزاهد: إن كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب والبعيد، ولا تأخذك فى الله لومة لائم، فلست أرى لك أنْ تحرم الناس خيرك، وإن كنت تخاف ألاّ تعدل فترك الولاية أفضل لك. قال محمد بن سعيد بن بشير: أما الحق فلست أبالى على من أدرته إذا ظهر لى من قريب أو بعيد، فقال له صديقه الزاهد: لست أرى لك أن تمنع الناس خيرك، فلما قدم أعاده الأمير إلى القضاء فعدل فى ذلك. قال خالد ابن سعد: وأخبرنى بعض أهل العلم قال: لما منع محمد بن بشير من بعض الخاصة وقصرت يده عنه، حلف بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك على المساكين إن حكم بين اثنين، فعزله الأمير الحكم، فلما أراد رده إليها ثانية أعتذر إليه بتلك الأيمان رجاء أن يعافيه، فأخرج إليه الأمير جارية من جواريه ومالا عوضا عن ماله فقبل القضاء ثانية.

أخبرنى من أثق به عن أحمد بن زياد قال محمد بن وضاح : أخبرنى قاسم بن هلال قال : دخلنا على محمد بن بشير يعدل عنده رجلا فقال : إحلفوا بالله الذى لا إله إلا هو أنه عدل رضا ، فقالوا بيمين أصلحك الله فقال : والله لا كتبتهـا حتى تحلفوا .

قال قاسم بن هلال وكنت أحدث القوم سنا فتسللت ، فقيل لابن وضاح : فما صنعوا ؟ قال : لا أدرى .

قال محمد : وكان محمد بن بشير إذا اختلف عليه العلماء وأشكل عليه الأمر كتب إلى مصر ، إلى عبد الرحمن بن القاسم وإلى عبد الله بن وهب .

أخبرنى عثمان بن محمد قال : أخبرنى عبيد الله ابن يحيى عن أبيه قال : حملنى محمد بن بشير أن أسأل له ابن القاسم عن مسائل ، وحمل أيضا ذلك محمد بن خالد ، فلما قدمت مصر سألت عنها ابن القاسم فأجابنى ، فكتبت عنه جوابه ، وقدم محمد بن خالد من المدينة فسأله عن تلك المسائل بأعيانها ، فأجابه فيها ، وكتب عنه ، فاجتمعت مع محمد بن خالد فامتحنت ما أجابه به ابن القاسم فى مسائله ، فأصبتها مخالفة لما أجابنى به ، فأتيت ابن القاسم فأعلمته بذلك وقلت له : إن قدمنا البلد بأجوبة مخالفة أدركت كل واحد منا التهمة فى نقله عنك ، وأوقعت القاضى فى شبهة وشك ، فاحتاج أن يكاتبك ثانية فقال : صدقت فأرسل فى محمد بن خالد فقال له : أجبتك وقلبى مشغول ولكن رد الأجوبة إلى ما كتب عنى يحيى ، ففعل ، وأتينا بأجوبة متفقة ، وكان محمد بن بشير جيد الفطنة حسن الإدراك .

قال لى بعض أهل العلم : كان ربما قبل الشاهد على التوسم والفراسة ، وكان ربما كشف فى السر عن البينة .

قال لى عثمان بن محمد قال لى عبيد الله ابن يحيى قال يحيى بن يحيى لمحمد بن بشير القاضى : إن الحالات تتغير ، فإذا عدل عندك الرجل فحكمت به ، ثم تطاول أمره وشهد عندك ثانية ، فكلفه التعديل وأعد فيه الكشف ، فقبل ذلك ابن بشير ، فلما

شعر الناس بذلك أخذوا منه حذرهم .

قال محمد: وكان يحيى بن يحيى من أشد الناس تعظيما لمحمد بن بشير وأحسنهم عليه ثناء فى حياته وبعد وفاته . سأل يحيى ابن يحيى عن لباس العمائم فقال : هى لباس الناس فى المشرق ، وعليه كان أمرهم فى القديم فقيل له : لو لبستها لاتبعك الناس فى لباسها فقال :قد لبس ابن بشير الخز فلم يتبعه الناس، وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به ، فلعلى لو لبست العمامة لتركنى الناس ولم يتبعونى كما تركوا ابن بشير ، وكان يحيى بن يحيى كثيرا ما يحكى عن محمد بن بشير عن مالك ابن أنس .

ذكر بعض أهل العلم عن يحيى بن يحيى قال : تظلم حمدون بن فطيس من محمد ابن بشير فى شيء حكم به عليه إلى الأمير الحكم رضى الله عنه فقال لى : يا أبا محمد إنى سألت الأمير أن يجلس لى الفقهاء ، وقد سألته أن يجلسك مع من يجلس فقال له : إنى لأعظم أن أجلس المجلس الذى يتظلم فيه من مثل محمد بن بشير ، فإن كنتم لابد فاعلين فعليكم بشيخنا يحيى بن مضر القيسى . واعلم أن محمد بن بشير على السخط خير لك منى على الرضا ، قال: فاستحيا حمدون، وكان حليما دمثا وكف عن جمع الفقهاء .

ومما حكاه محمد بن بشير عن مالك قال عبد الملك بن الحسن قال محمد ابن بشير : سمعت مالكا يقول : أنظروا فى هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها قال محمد : أراه يعنى الموطأ ، قال عبد الملك ابن الحسن قال محمد بن بشير : سمعت مالكا يقول : تكاد أخبار ابن عمران أن تكون سيرا قال محمد : فلا أدرى أى ابن عمران أراد ؟ مالك بن أنس ابن عمران الطلحى قاضى المدينة ، أو مصعب ابن عمران قاضى الجماعة بقرطبة ؟ وأخلق به أن يكون أراد المصعب ، لأن محمد بن بشير كان كاتبا للمصعب وكان عالما بأخباره ، ثم جلس ملكا من بعد ، فلعله قص عليه من أخباره فأعجبه فقال فيه ما قال :

قال محمد قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز ، ذكر محمد بن عمر بن لبابة ومحمد بن عبد الله ابن القوق ، أن محمد بن بشير سأل مالكا عن لبن الأتن فلم يربه بأسا . قال محمد قال لى بعض رواة الأخبار : أكثر موسى ابن سماعة صاحب الخيل على الأمير الحكم رضى الله عنه فى محمد بن بشير ، وشكا إليه أنه يجور عليه ، فقال له الأمير : أنا أمتحن قولك الساعة، أخرج من فورك هذا واقصد ابن بشير فاستأذن عليه ، فإن أذن لك عزلته وإن لم يأذن لك دون خصمك فليس بجائر ، وإنما مقصده الحق ، فخرج موسى ابن سماعة من عند الأمير إلى دار ابن بشير ثم أمر الأمير رحمه الله من وثق به من الفتيان أن يقفوا أثره ويعرف ما يكون منه، فلم يكن إلا ريثما بلغ، ثم انصرف فجعل يحكى للأمير قال : لما خرج الأذن إلى موسى ثم انصرف وأعلم به القاضى خرج إليه ثانية فقال له: إن كانت لك حاجة فتقصّد فيها إذا جلس القاضى فى مجلس القضاء فقال الأمير

رحمه الله : قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة عنده فيه لأحد ، قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم قال : كان محمد بن وضاح يحكى عن الأمير الحكم رحمه الله حكايتين إحداها فى محمد بن بشير والثانية فى ذكر شىء من الحدثان فكان محمد بن وضاح يقول عند فراغ الحكايتين ، والله لو لم يكن للحكم غير هاتين لرجوت له الجنة ، وإحدى الحكايتين التى فى ابن بشير : أنه ذكر عن بعض الخاصة أن كريمة من كرائم الحكم رحمه الله ذكرت أن الحكم قام عنها ليلا فساء به ظنها على ما يتوهم النساء ، ويسبق إليهن من وجه الغيرة قالت : فقفوت أثره فوجدته فى بعض الأماكن يصلى ويدعو قالت : فلما انصرف أعلمته بما ظننت وبما فعلت وبما رأيته عليه من الصلاة والدعاء ، قالت : فقال لى : كنت قد قلدت محمد ابن بشير القضاء بين المسلمين ، فكانت نفسى عليه طيبة، وقلبى به واثقا وكنت مستريحا

من أخيار الناس وظلاماتهم ، لما علمت من عدله وثقته ، حتى أعلمت فى هذه العشية أنه فى السياق، وأن الموت قد حضره ، فقلقت لذلك واغتممت ، وقمت فى هذه الساعة أدعو الله وأبتهل إليه أن يوفق لى رجلا يكون عوضا منه ، تسكن إليه نفسى فأوليه القضاء قضاء المسلمين بعده .

ذكر القاضى سعيد
ابن محمد بن بشير المعافرى

قال محمد سعيد بن محمد بن بشير ابن شراحيل المعافرى : كان نبيلا فاضلا وكان معينا لأبيه على العدل ، ومؤيدا له فى اتباع الحق ، وكانت بصيرته من بصيرة أبيه فى جميل المذاهب واستقامة الطرائق .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد قال : أخبرنى بعض أهل العلم :

أن أهل استجه رفعوا إلى الأمير رحمه الله يسألونه قاضيا يقضى بينهم فأخرج الأمير رحمه الله كتابهم إلى قاضى الجماعة محمد بن بشير وأمره أن يتخير من يراه ، قال خالد : فأخبرنى أحمد ابن بقى قال : لما قرأ محمد بن بشير كتاب الأمير أقرأه ابنه سعيدا ثم قال له : أنت تعرف جميع من يختلف إلينا من الناس فما ترى أن نشير به على الأمير فقال له : لست أعرف ولا أتقلد أحدا من الناس ، فقال له محمد بن بشير : ما ترى فى المؤدب الزاهد الذى يختلف إلينا من شقنده ؟ فقال : هو أمثل من يختلف إليك ، غير أنى لست أشير به ولا أتقلده فقال له أبوه : فأنا أتقلده وأشير به ، ثم أخذ كتابا وبدأ يكتب بخبر المؤدب إلى الأمير ، إلى أن قرع عليهما الباب فقال له أبوه : اخرج واعرف من هو ، فخرج فوجد قوما يسألون عن القاضى فقال لهم ابنه : هو بحال شغل ، فبينما هو يتكلم معهم إذ أتى المؤدب الزاهد فتعرض للدخول على القاضى فقال له ابنه : هو مشغول بكتاب يخاطب فيه الأمير فقال : لابد من رؤيته لأمر أخشى فواته ، وذلك أنه ذكر لى أنه سأله الأمير

أن يشير بقاض لأهـل استجه فأحببت أن يشير بى ؛ فدخل سعيد على أبيه وهو يكتب فقال له : إرفع يدك عن الـكتاب فإن الرجل الذى تخاطب فيه قد هدم نفسه وأعلمه الخـبر ، فأسقط محمد بن بشير الـكتابة فيه،وأشار بغيره، قال محمد: وكان السبب الذى من أجله ولى القضاء سعيد ابن محمد، قصة دارت عليه فى وديعة كانت فى يديه : قال خالد بن سعيد : حدثنى من أثق به من أهل العلم عن يحيى بن زكريا ، وكان من أثبت أصحاب محمد بن وضاح قال : أخبرنى أصبغ بن خليل قال : كنت جالسا عند يحيى بن يحيى حتى أتاه سعيد بن محمد ابن بشير فجلس فرآه يحيى مغموما فقال له : ما دهاك فقال له: همّ طرأ على قال : وماهو؟ فما عليك أذن ولا عين فقال : إن ربيع القومس أودعنى مالا عظيما وهـذا الهاتف يهتف ، من كان عنده لربيع مال أو وديعة فلم يظهره بعد ثلاث سفـكنا دمه وأنهبنا ماله ، فاستهول يحيى الخبر واستعظمه وأ كب طويلا ثم قال له : وما تريد أن تصنع ، أرى والله ألا تخفر أمانتك للحديث الذى أتى : إن الأمانة تؤدى إلى البر والفاجر والرحم توصل ، برة كانت أو فاجرة ،والعهد يوفى به للبر والفاجر ، فنمى الحديث وفشا حتى انتهى إلى الأمير ، فبعث فيه بعد ثلاث فخرج إليه الأُذُن من عند الأمير فقال له : ما دعاك إلى ستر ما أودعك ربيع وقد سمعت ما هتف عنـا الهاتف وما أظهرنا من العزيمة فى ذلك؟ فقال : للأُذُن يعلم الأمير أصلحه الله عنى أنى إنما فعلت ذلك للحديث الذى أتى ، ثم نص الحديث حتى انتهى إلى قوله والأمانة تؤدى إلى البر والفاجر ولا أفجر من ربيعة ، فأنهى الفتى ذلك إلى الأمير عنه فأوصى الأمير إلى الوزراء .هذا رجل صالح فولوه القضاء فـكان ذلك سببا لولايته القضاء .

قال محمد : وكان سعيد بن محمد ابن بشير صاحبا ليحيى بن يحيى، وكان يحيى له على محافظة وإكرام ، أخـبرنى عثمان

ابن محمد قال : أخبرنى أبو مروان عبيد الله قال . قال يحيى بن يحيى : الحمد لله ... الرجال ، جئت عبد الملك بن مغيث يوم أربونة فى الغزو ، ومعنا سعيد بن محمد بن بشير فكان يرسل إلينا ويستشيرنا قال يحيى : وكان ربما استخصنى بالإرسال دون سعيد ابن محمد فقلت لعبد الملك : لا تفعل فإن صاحبى سيسوءه ذلك ، فقبل منى وبعث يوما إلى بصلة ثمانية دنانير ، وإلى سعيد بن محمد بمثلها فقلت له : أما أنا فستغن عنها ولكن اجمعنا وابعث بها إلى صاحبى فإنه محتاج فلما غنم المسلمون وعظمت فى أيديهم ، قسم ما هنالك برأينا ومحضرنا ، فقلت له فى بعض مادار بينى وبينه : أحب أن أكلمك بشىء يرق وجهى عنك فيه ؛ فقال له : يا أبا محمد كل ما بلغ بك الحشمة فضعه عن نفسك ، قال عبيد الله : فكان يحيى يعجب بهذا الجواب جدا قال : فلما قفلنا قال لى : يا أبا محمد أردت أن أكرمكما أنت وصاحبك قلت له : بماذا ؟ قال : بأن أسمعكما سماعا حسنا قال : فقلت له : أنت والله تريد هواننا لا إكرامنا ، قال : فقال لى : يا أبا محمد لا تظن ذلك ، فوالله ما كان رأى من قبلك أن يبالغ فى إكرامهم حتى يفعل ذلك بهم قال : فقلت له لا جزاهم الله خيرا عن أنفسهم ولا عنك ، فقد خانوا الله ورسوله قال يحيى : فاحتشم وكف .

ذكر القاضى الفرج بن كنانة الكنانى

قال محمد : هو الفرج بن كنانة بن نزار ابن عتبان بن مالك الكنانى ، نسبه فى كنانة ومكتبه فى جند فلسطين ، كان مسكنه بشذونة وكان من أهل العلم والتقييد ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، وسمع فيها من عبد الرحمن بن القاسم ومن غيره من أهل العلم ، ولما قدم من رحلته استخصه الأمير الحكم بن هشام رحمه الله واستقضاه قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد : ولم يزل القضاء مترددا فى ولده بشذونة فى أيام الخلفاء رحمهم الله إلى أن ولى أمير المؤمنين أعزه الله رجلا

من ولده يكنى بأبى العباس قضاء شذونة وكان قد عنى بطلب العلم عندشيوخ الأندلس مع محمد بن عبد الملك بن أيمن وغيره من نظرائه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد قال : حدثنى بعض أهل العلم عن رجل من أهل الزهد من آل الفرج بن كنانة فاتهم بالحركة فى الهيج فتسور عليه ليقتل فصرخ النساء فسمع الفرج الصراخ فقال : ما هذا ؟ فقيل له : جارك فلان أتاه الأعوان فهجموا عليه ليقتل فخرج الفرج إلى باب الدار فاجتمع مع الأعوان فقال : إن جارى هذا سليم الناحية وليس فيه مما تظنون شيئا فقال له المرسل مع الأعوان وكان رئيسهم ليس هذا من شأنك ولا مماعصب بك ، انظر فى أحباسك وأحكامك ، ودع ما لا يعنيك فغضب الفرج بن كنانة عند ذلك ، فمشى إلى الأمير الحكم رضى الله عنه واستؤذن له عليه ، فلما دخل سلم ثم قال : أيها الأمير أصلحك الله إن قريشا حاربت النبى صلى الله عليه وسلم وناصبته العداوة ، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم ، وأنت أحق الناس بالاقتداء به ، لقرابتك منه ، ثم حكى له القصة وما عرض له ، فأمر بضرب الناظر فى ذلك الشغب وعفا عن بقية أهل قرطبة ، وبسط الأمان لجماعتهم ، واستألفهم إلى أوطانهم .

قال محمد : ذكر محمد بن حفص قال : قرأت فى كتاب بخط أحمد بن فرج فيه نبذ من أخبار الأندلس أن الفرج بن كنانة غزا معقودا له على جند شذونة من العرب مع عبد الكريم بن عبد الواحد إلى جليقية وأن عبد الكريم قدمه من استرقه إلى جمع للنصرانية ، ففضهم وقتل فيهم قتلا ذريعا قال : وقرأت فى هذا الكتاب أن الأمير الحكم رضى الله عنه استقدم الفرج بن كنانة من شذونة وولاه القضاء بقرطبة ، وأنه لما أدال عبد الرحمن ابنه من سرقسطة وولاها عبد الرحمن بن أبى عبدة ، استخف به عمارة رجل من العرب على موالاة له فولى سرقسطة الفرج بن كنانة إذ هو منهم فلحق الفرج

بالثغر وكان فيه مدة، ثم، إن عمارة استمال قوما من البربر وأدخلهم المدينة وثاروا على الفرج بن كنانة فملكوه، ثم تداعى العرب ووجوه البربر على عمارة ومن معه فقتلوهم وأجلوهم عن المدينة، فتقبضوا على عمارة وابنه وفروا به إلى الفرج بن كنانة، وسأله العرب ووجوه البربر مخاطبة الأمير الحكم رحمه الله بما كان من قيامهم معه، ونصرتهم له، فكتب لهم وسكنت حالهم.

قال محمد: وقرأت فى الديوان جواب الحكم رضى الله عنه إلى الفرج بن كنانة بما يصدق هذا الحديث ونسخته: أما بعد فقد بلغنا كتابك تذكر الذى زاولت من صلاح ماقبلك، وشغلك عن الكتاب إلينا بأمر عمارة وما كان من أمره وأمر من خرج معه، ونقض الذى اختلف عليك من أمر أهل المدينة، بدخول من داخلهم من البربر، وما كان من نفير من نفر إليك من خيارهم ووجوههم وأهل الدعة والصلاح منهم، نصرة لك ومعرفة بما فى الطاعة من العافية والسعادة ووثوب من وثب عليك من شرارهم وأهل السفه منهم، وحسن مراجعتهم بعد الذى كان منهم، ومن تذممهم على ما فرط من فعلهم وزل من رأيهم، وقد كان من استجماع كلمة خيارهم ووجوههم وصالحيهم على نصرتك ومدافعة من وثب عليك من سوادهم، ما عفا عما ما ركب رعاعهم، ومن شذ من سفائهم ودعا ذلك إلى العفو عنهم والصفح عن زللهم، وإنا كاتبون إلى عامتهم مع رسلك إلينا بما سألته ومعجل ذلك إليهم.. أصبت رأيك فيما جمعت من كلمة الفريقين، وأصلحت من أمرهم، وقد عرفنا حسن رأيك وصواب سياستك فيما حملناك من أماناتهم، وعصبنا بك من أمرهم، ووقع لك منا موقع المعرفة والسلام. وكتب إليه مدرجة فيها: قد كان من أمر عمارة وابنه واستجماع من قبلك من العرب على دفعهما إليك ماقد عرفت ثقة بك وبنصيحتك، وما بلوا من طاعتك، فاحتفظ بهما فى ليلك ونهارك واحذر الضيعة فيهما، والغفلة عنهما إلى قدوم

المغيرة ذلك الثغر إن شاء الله ، واعلم أنك ضامن لهما إن فاتا من يديك ، فانظر لنفسك بالاحتفاظ بهما أبلغ التحفظ إن كانت لك بما قبلنا حاجة ، ولا تلو من ألا نفسك إن ضيعت والسلام . وكان الفرج بن كنانة قد بعث بكتابه بعض أهل الغناء عنه من العرب إلى الأمير الحكم(*) رضى الله عنه فأمر لهم بالكساء والصلات وبعث إلى قومه مثل ذلك ، وقرأت جواب الحكم رضى الله عنه إلى الفرج فى أمر من وجه من العرب وما كان منه إليهم وهذه نسخته : أما بعد فقد قرأت كتابك بما ذكرت من حال عامة من قبلك من العرب فى طاعتهم ومناصحتهم وخاصة من سميت من أهل البلاء منهم ، وقد وقع ذلك لهم موقع جزاء ومعرفة ، وصرفنا إليك رسلك بجوابات كتبك وكتبهم وأجزناهم على وفادتهم بأوسع الجائزة والسلام ؛ وهذه نسخة كتاب الأمير الحكم رضى الله عنه إلى حبيش بن نوح ومن قبله من العرب : أما بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون أن الذى كان من صنع الله لنا فى ذلك الثغر بما قمتم فيه ، وحاولتم من صلاح ما فسد منه ، وأخطرتم من دمائكم وأنفسكم فى نصرة عاملكم وعزه ، ومجاهدة من نزع عنه ودافع أمره ، حتى أصلح الله الأمر ، وجمع الكلمة ، وقوم الطاعة ، وكل الذى كتبتم تذكرونه وتمنون به قد وقع منا بأفضل موقع فى معرفته وحسن الجزاء به ، وجميل المكافأة عليه ، وقد ولينا المغيرة بن الحكم أمر ثغركم ، وعهدنا إليه أن يعرف حق بلائكم وحسن طاعتكم وغنائكم ، وإن يتسع لكم فيما جعلته إليه بما أنتم أهله فى طاعتكم وصبركم ومناصحتكم وفضل ما قدمتم من ذلك ، والله المستعان والسلام .

قال محمد : ولم أجد عند رواة الأخبار للفرج بن كنانة بعد مقدمه من الثغر خبرا .

وقال عبد الملك بن أيمن عقب الفرج ابن كنانة بشذونة كثير ، وقد أدركت من

(*) زيادة بالهامش : رضى الله عنه ، فأمر لهم بالكساء والصلات وبعث إلى قومه مثل ذلك .

ولده أبا العباس يطلب العلم معنا عند شيوخ بلدنا ، ثم ولاه أمير المؤمنين أعزه الله قضاء شذونة .

ذكر القاضي قطن بن جزء التميمي

قال محمد: هو قطن بن جزء بن اللجلاج، ابن سعد بن سعيد بن محمد بن عطارد بن حاجب ابن زرارة التميمي، وكان من أهل جيان، وولاه الأمير الحكم بن هشام رضي الله عنهما قضاء الجماعة بقرطبة ، ولم أجد له عند رواة الأخبار خبرا أقيده عنه ، ثم تلاه في القضاء بشر بن قطن ، ثم ولي بشر بن قطن بعد ذلك .

ذكر القاضي عبيد الله بن موسى الغافقي

قال محمد : هو عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله ابن خالد بن يزيد بن عمار بن عبيد الغافقي كان أصله من عرب الشام ، ثم من جند فلسطين ، سكن ناحية الجزيرة ، وسكن ولده إشبيليه ، وبنو موسى الوزير يقولون عبيد الله هذا القاضي المنسوب ، ولاه الحكم رضي الله عنه قضاء الجماعة بقرطبة ، ولم تحفظ الرواة له خبرا يوضع بهذا الكتاب عنه ، ثم تلاه محمد بن تليد بن حامد بن محمد الرعيني .

ذكر القاضي حامد بن محمد الرعيني

قال محمد : هو حامد بن محمد بن سعيد ابن إسماعيل بن حامد بن عبد اللطيف الرعيني كان من أهل شذونة ، ولاه الأمير الحكم رضي الله عنه قضاء الجماعة بقرطبة ولم يحفظ أهل العلم له شيئاً يحكونه عنه .

ذكر القاضي مسرور بن محمد بن بشير المعافري

قال محمد : هو مسرور بن محمد بن سعيد ابن بشير بن شراحيل المعافري وقد تقدم في صدر هذا الكتاب ذكر أبيه محمد بن بشير :

قال محمد : ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمهما الله قضاء الجماعة بقرطبة ، وكان من الصالحين الفاضلين ، حدثني من وثقت به من أهل العلم قال : حدثني محمد بن أحمد بن عبد الملك المعروف بابن الزراد قال:

كان عندنا بقرطبة قاض يعرف بمسرور وكان من الزهاد ، استأذن من حضره من الخصوم يوما فى أن يقوم لحاجة يقضيها من حوائج نفسه ، فأذنوا له ، فقام عنهم ثم خرج عليهم وفى يده خبزة عجين وهو يسير بها إلى الفرن ، فقال له بعض من حضر : أنا أكفيك أيها القاضى حملها فقال له : وإذا عزلت عن القضاء أين أجدك كل يوم تكفينى حملها بل الذى حملها قبل القضاء هو يحملها اليوم ، ثم تلاه فى القضاء سعيد بن محمد بن بشير مرة ثانية .

ذكر القاضى يحيى بن معمر الألهانى

قال محمد : هو يحيى بن معمر ابن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الأطلوسى الإلهانى من العرب الشاميين ، وكان من أهل إشبيليه ، ومنزله بها يسمى مغرانة حارة من طرف الحاضرة ، عليها ممر السابلة وكان فى وقته فقيه إشبيلية ، وفرضيها ، وكانت له رحلة لقى فيها أشهب بن عبد العزيز وسمع منه ومن غيره من أهل العلم ، وكان فى مذهبه ورعا زاهدا فاضلا مقبلا على إقامة ضيعته وإصلاح شأنه ، قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز لهج الناس باشبيلية أن يحيى ابن معمر يستقضى بقرطبة ، قال لى : فحكى رجل من أهل إشبيلية يعرف بمرة بن ديسم قال : كنت مع يحيى جالسا فى قريته فى بعض الأبنية ، حتى نظرت إلى فارس يركض وهو مُغذٌّ فى السير مستقيم على المحجة العظمى ، قال : فأتبعته بصرى ، فلما بلغ إلى الطريق الذى يعطف فيه إلى منزل يحيى بن معمر ، وقفه وقوف الجاهل بالمكان المستدل قال : وظننت أنه رسول الخليفة من قرطبة فى يحيى ابن معمر ليوليه القضاء قال : فعطفت على يحيى فقلت : أبا زكريا ، لهج الناس من أمرك بشىء وأحب أن أعرف الحقيقة مما تعتقده ، فقد أزف الأمر ، تقبل القضاء أو لا تقبل ؟ قال : أقبل ، قال فقلت له : إذا كنت قاضى الجماعة بقرطبة ما يكون حظ صديقك ومحبك من ذلك ؟ قال : حظ وافر إن شاء الله قال : فقلت له : هذا رسول مقبل فيك من قرطبة قال : فما انقضى الكلام حتى وقف بنا الركاض المرسل فى يحيى بن معمر قال : فلما صار يحيى

إلى قضاء الجماعة بقرطبة ، قصدت إليه من أشبيلية فنزلت عليه، فحيي وأكرم وأنزل، فلما صرنا إلى العشاء قدم من الإدام شيئاً مختصرا، فقلت له: وما هذا وأين نعيم قرطبة وما فيها من ضروب الخيرات وأنت قاضى الجماعة ؟ ثم قلت : أخشى والله أن أندم على رحلتى إليك قال : لا ، إن شاء الله قال: فلما أصبح يحيى بن معمر وضع يده وأنا لا أشعر فكتب إلى أمير عبد الرحمن بن الحكم رضى الله عنهما يحكى له القصة على وجهها وكيف كانت العدة من يحيى ، وأن مرة بن ديسم قدم عليه مستنجزا ، ثم سأله أن يعقد له على قومه سنة كاملة ، وأن يحمله ويكسوه، قال مرة بن ديسم : فما شعرت وأنا قد استشعرت اليأس من خير القاضى لما رأيت من زهده ومآخذه فى نفسه حتى أتت العقدة إلى يحيى من عند الأمير مع صلة مائتى دينار وبغل حملان وثياب كسوة وكتاب معها من الأمير يقول فيه : قد أنجزنا عنك عدتك لمرة بن ديسم : قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن خالد وعثمان بن عبد الرحمن ابن عبد الحميد بن أبي زيد قال : أخبرنا محمد ابن وضاح وأحدهما يزيد على صاحبه قال : صليت صلاة الكسوف مع ابن معمر فى الجامع بقرطبة سنة ثمان عشرة ومائتين، فصلى وأحسن الصلاة ولم يقم الصلاة ، وطول فى صلاته ، بدأ بالصلاة ضحى وقوم فى القابلة وقد تجلت الشمس وكذا فى زمن الصيف .

قال أحمد بن خالد وعثمان بن عبد الرحمن: أخبرنا محمد بن وضاح قال : صليت الجمعة فى ولاية ابن معمر أربع ركعات وابن أبي عيسى حاضر وسعيد بن حسان وعبد الملك بن زونان وحارث بن أبى سعد وعبد الملك ابن حبيب ، وصلاها أكثر الناس فى صحن المسجد ركعتين .

قال محمد : وكان يحيى بن معمر إذا أشكل عليه الأمر واختلف عليه الفقهاء كتب إلى مصر إلى أصبغ بن الفرج وغيره وكشفهم عن وجه ما يريد علمه ، وقد قرأت رسائل حسانا مما كتب بها أصبغ بن الفرج إلى يحيى بن معمر قاضى الجماعة بقرطبة أجوبة فى مسائل سأله عنها من أخبار القضاء

طويلة مديدة همت .. . واجتلابها ثم رأيت ألاّ أخرج الكتاب عن حده ولا أصرفه عن وجهه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد قال : سمعت غير واحد من مشايخ أهل العلم يقول: كان بين يحيى بن معمر وبين يحيى بن يحيى عداوة فسعى يحيى بن يحيى فى عزل يحيى بن معمر القاضي عند الأمير عبد الرحمن رحمه الله وأقام عليه البينات من أهل العلم والعدل، فشهدوا على يحيى بن معمر عند الوزراء بأحوال قبيحة نسبت إليه ، فرفع يحيى بن معمر إلى الأمير عداوة يحيى ، وأنه هو ضم الفقهاء والعدول إلى الشهادة فطاعوا له بها، فأخرج الأمير عبد الرحمن عهدا إلى الوزراء يأمرهم بأن يرسلوا فى وجوه التجار فيسألوهم عن يحيى بن معمر فأرسل الوزراء فى غير واحد ، فكان قول التجار من شاكلة الشهادات المتقدمة وذلك لمطالبة من كان يطالب من الفقهاء حينئذ، فعزله الأمير عبد الرحمن عند ذلك .

قال محمد : كان يحيى بن معمر فيما شهدت به أخباره وحكته آثار فعله ، قليل المداراة لفقهاء قرطبة، لا يلين لهم فيما يريدون، ولا يصغى إليهم فيما يحبون، فنفروا بأجمعهم عنه، وصاروا كلهم إلبا عليه، وبلغ من تحامل يحيى بن معمر عليهم أن سجل بالسخطة على سبعة عشر رجلا منهم فرموه كلهم عن قوس واحدة وقالوا فيه بأجمهم قول سوء .

حدثنى عثمان بن محمد قال : حدثنى أبو مروان عبيد الله بن يحيى قال : قال يحيى ابن يحيى : لما قام الناس على يحيى بن معمر قاضي الجماعة بقرطبة أتانى سعيد بن حسان فقال لى : ما ترى فى الشهادة عليه ؟ قال يحيى فقلت له : لاتفعل وانظر أن تكون مشاورا فيه ، فيكون رأيك فيه أنفذ حينئذ من شهادتك ، قال : فغابته شهوته فيه إلى أن ذهب فشهد عليه ، ثم أتانى فقال قد شهدت عليه قال يحيى : فلم ألبث أن أتانى كتاب الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله يقول فيه : قد تصفحت الشهادات على القاضي يحيى بن معمر، فلم أر لك فيها شهادة وقد وجهت إليك الشهادات عليه فتصفحها واكتب برأيك فيها : قال يحيى : فكتبت

إلى الأمير : ما عندي من أخبار القاضي علم، لأنه لم يكن يحضرني مجلسه ولا يشاورني في أحكامه ، وأما الشهادات الواقعة عليه فقد تصفحتها ولو وقع مثلها على مالك والليث ما رفعا بعدها رأسا قال يحيى : فأمسى ابن معمر معزولا عن القضاء .

قال محمد : قال خالد بن سعد : أخبرني أحمد بن عبد الملك قال : أخبرني عثمان بن سعيد الرجل الصالح الفاضل قال : لما عزل يحيى بن معمر عن القضاء بقرطبة بعث إليه أحد الوزراء وكان من أخص إخوانه به ابنا له بزوامل وأعوان وقال لابنه : تذهب إلى القاضي رحمه الله وتسأله أن يحمل على هذه الزوامل ثقلته وما احتاج إليه ، فلما أتاه ابن الوزير برسالة أبيه وأحضره الزوامل قال له القاضي : ادخل حتى ترى ما عندنا من الثقلة فدخل فإذا ببيت القاضي ليس فيه الا حصير وخابية بدقيق ، وصحفة وقلة للماء وقدح وسرير كان يرقد عليه ، فقال له ابن الوزير : وأين الثقلة ؟ فقال : هذه ثقلتي أجمع ثم قال للغلام : فرق الدقيق على من بالباب من الضعفاء ، وامض في بعض القومة يقصوا هذا الحصير والأواني ثم خرج وقال : جزى الله الوزير أباك خيرا تقرئه سلامي ثم توجه إلى إشبيلية .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم قال فوجيء بن معمر بالصلاة في بعض الأعياد فأتى المصلى وقد أخذ أشراف الناس وخدمة السلطان مواضعهم بقرب سترة الإمام فلما نظر يحيى إلى ذلك أمر الخدمة بتقديم السترة فبادر سواد الناس حتى قربوا من الإمام وصار من كان متقدما خلفهم متأخرا ثم قام فخطبهم .

ذكرى القاضي الأسوار بن عقبة النصري

قال محمد : هو أبو عقبة الأسوار بن عقبة بن حسان بن عبد الله النصري ، كان من أهل جيان ولاه الأمير عبد الرحمن رضي الله عنه قضاء الجماعة بقرطبة ، فكان من أهل التحري والخير والتواضع وحسن السيرة ، كان يحمل خبزه إلى الفرن بنفسه ، ويتصرف في مهنة

أهله : ولما عزله الأمير رحمه الله رأى بعد ذلك صرفه إلى القضاء ، فأبى فكلم فى ذلك فقال: لى عيوب كثيرة ، كبر ولدى ، وضعف بدنى ، وكان له ولد يسمى حسينا فقيل له : أو تجعل كبر ولدك عيبا من عيوبك ؟ قال : من أشد العيوب .

قال احمد بن محمد بن أيمن : رأيت للأسوار بن عقبة حكما فى حدود مقبرة الربض ومنتهى أقطارها ، وشهدت أحمد بن بقى وهو على القضاء يومئذ قد ركب إلى الموضع مع الفقهاء ، وذلك الحكم معه حتى امتحن الحدود واحتمل على ما وجد فى الحكم .

قال محمد : أخبرنى أصبغ بن عيسى الشقاق قال : سمعت أحمد بن بقى يقول : دخل محمد بن عيسى الأعشى يوما على الأسوار بن عقبة فقال له : كيف أصبحت أبا عقبة ؟ فأطرق أبو عقبة القاضى عن إجابته ثم شهد عنده الأعشى فى ذلك المقام بشهادة فقال له القاضى : أنت رجل يكثر الهزل ولست أدرى إن كانت شهادتك هذه من جدك أو هزلك ، فوقذه بهذا الكلام .

ذكر القاضى يحيى بن معمر ثانية

قال محمد : قال لى محمد بن عمر ابن عبد العزيز : كان السبب الذى من أجله صرف يحيى بن معمر إلى القضاء ثانية أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم رضى الله عنهما خرج فى زمان الخريف على ما كانت الخلفاء تلتزمه من التروح إلى أشبيليه وساحل البحر ، فنظر بعض خواص الأمير إلى يحيى بن معمر وهو فى جنان له يستقى الماء بخطّارة ويسقى بقل الجنان فلما رأى ذلك دخل ذلك الرجل الناظر إلى يحيى بن معمر فى تلك الحال على الأمير وأعلمه بما رأى من يحيى بن معمر ، فقال الأمير عند ذلك والله ما أشك فى فضل الرجل وورعه ، وإنى لأظن الرافعين عليه متمالئين بالباطل ، وأمر من ساعته تلك بتوجيهه إلى قرطبة قاضيا ، فلما قدم يحيى بن معمر إلى قرطبة قاضيا أقسم ألا يستفتى يحيى

ابن يحيى ولا سعيد بن حسان ولا زونان فبقيت الأحكام معلقة إلى مقدم الأمير عبد الرحمن رحمه الله من وجهته، وبلغ الخبر إليه فأوصى إليه بانكار ذلك، فقال يحيى قد أقسمت على ذلك، وبالبيرة رجل من أهل العلم والتقدم يستغنى به عنهم، يعنى عبد الملك بن حبيب، فأمر باستقدامه فكان المنفرد بفتياه . وحكى محمد بن عبد الملك ابن أيمن عن عمه وكان خاصا بابن معمر قال: كنت عند ابن معمر القاضى يوما فى بيته فى دولته الثانية، فاستأذن عليه عبد الملك، فأذن له فلما أخذ مجلسه قال : قضية فلان أحب إلى أن ينفذ الحكم فيها بما أشرت عليك، فإنه الحق إن شاء الله، وكان ابن معمر يريد أن يحكم فى ذلك بقول ابن القاسم، وكان عبد الملك يريد أن يحكم فيها بقول أشهب فقال له يحيى بن معمر : لا والله لا أفعل ولا أخالف ما وجدت عليه أهل البلد، وإنما وجدتهم يحتملون على قول ابن القاسم، وتريد أنت أن تصرفنى إلى قول أشهب

ثم ضرب له مثلا يقوله العامة « سنة عفص وسنة بلوط » قال : فما زال التراجع بينهما بالكلام حتى قام ابن حبيب عنه مغضبا .

قال محمد بن أيمن : قال لى عمى : فعذلته وقلت له : هذا الرجل أثبته على أعدائك، كأنى أراه قد صار فى عددهم ثم يعزلونك ثانية، فقال لى : بالعزل تخوفنى والله ليت بغلتى قد عجرت بى فى سهلة المدور منصرفا إلى أشبيلية، فكان يقول : فما أنسى قوله قد عجرت بى قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن عبد الملك قال : أخبرنى عثمان بن سعيد الزاهد قال : لما احتضر يحيى بن معمر بأشبيلية وأيقن بالموت قال لمولى له : كان قد صحبه من أهل الخير : حرجت عليك بالله العظيم إلا إذا مت فاذهب إلى قرطبة ثم قف بيحيى بن يحيى وقل له : يقول لك يحيى بن معمر « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ، قال : فلما مات يحيى بن معمر أتى مولاه إلى يحيى فبلغه ذلك قال : فبكى يحيى حتى أخضل لحيته

ثم قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ما أظن الرجل إلاّ خدعنا فيه ووشى بيننا وبينه، ثم ترحم عليه واستغفر له . قال محمد : وهذه الحكاية التى حكاها محمد بن سعيد تدل على أن يحيى بن معمر عزل مرة ثانية ولم يمت قاضيا ، وله حكاية ثانية لم نسندها تدل على أن يحيى بن معمر مات قاضيا سنذكرها فى افتتاح أخبار القاضى إبراهيم ابن العباس .

ذكر القاضى ابراهيم بن العباس القريشى

قال محمد إبراهيم بن العباس بن عيسى ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله قال محمد قال خالد بن سعيد : لما توفى يحيى بن معمر القاضى بقى الناس بلا قاض نحو ستة أشهر ، فجعل الناس يتصدون للوزراء إذا ركبوا يسألونهم أن ينهوا إلى الأمير رحمه الله ذلك ، ففعلوا فعرض الأمير رحمه الله حينئذ القضاء على يحيى ابن يحيى فأبى من قبوله وقد ذكرت الروايات فى ذلك وشرحت خبر يحيى شرحا حسنا فى صدر الكتاب ، فى باب من عرض عليه القضاء من علماء قرطبة فأبى من قبوله .

قال محمد : كان إبراهيم بن العباس محمودا فى قضائه، عادلا فى حكمه، متواضعا فى أموره، غير متصنع ولا متهيب ، أخبرنى فرج ابن سلمة بن زهير البلوى قال : قال محمد بن عمر بن لبابه : كان إبراهيم بن العباس ربما جلس يقضى فى بيته بين الناس ، وخادمه تنسج فى ناحية البيت .

أخبرنى من أثق به من أصحابنا عن أحمد بن زياد عن محمد بن وضاح قال : لما أبى يحيى بن يحيى من قبول القضاء وأشار بإبراهيم بن العباس أن يستقضى وأن يكون كاتبه زونان، فقبل منه الأمير رأيه فى ذلك وولى إبراهيم بن العباس القضاء، فشهد عنده يوما يحيى بن يحيى فى الماء الذى كان بفرن بريل الذى قام فيه بنو العباس وابن عيسى ، فلما خرج تناوله بعض الخصوم فانصرف يحيى إلى القاضى فقال : إن هذا تناولنى فأدبه فقال . وما أدبه ؟ قال : ابعث به إلى

السجن ، فبعث به القاضي إلى السجن ، ثم خرج يحيى بن يحيى إلى باب الصومعة فركب دابته ومضى نحو السويقة ، وانصرف فدخل على القاضي فقال له : تأمر بإطلاق الذى حبست فى الذى كان منك أدبه ، وكانت ولايته هذه الأولى سنة أربع عشرة أو خمس عشرة ومائتين ثم عزل وولى غيره ، فلما كانت سنة ثلاث وعشرين على أثر سعيد بن سليمان ولى القضاء أيضا — قال محمد : قوله على أثر سعيد بن سليمان يخيل إلى أنه غلط لأن سعيد بن سليمان إنما ولى بعد محمد بن زياد وبعد موت يحيى بن يحيى وذلك كله بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين ولم أر فى شيء من الروايات أن سعيد بن سليمان ولى ولايتين حاشا ما ذكر لى أحمد بن عبادة الرعيني فإنه قال لى : عزل سعيد بن سليمان ساعة من نهار ، ثم استدرك الأمير عبد الرحمن رحمه الله رأيه وأمر بإثباته ، فلما طلب ليعلم عن الأمير بالتمادى على القضاء ألفى قد ارتحل إلى بلده ، فأعلم بذلك الأمير فقال : إن هذا رجل صالح وازداد به غبطة ، وأمر أن يدرك ويصرف إلى قضائه ، فأدرك ورد كما كان قاضيا .

قال محمد : فإن كان إبراهيم بن العباس ولى القضاء سنة ثلاث وعشرين ومائتين أمكن أن يكون بعد بعض القضاة غير سعيد بن سليمان .

قال محمد بن وضاح : وفى ولاية إبراهيم ابن العباس الثانية رفع إلى الامير رحمه الله أن القاضى ليس يقبل من أهل قرطبة إلا من أشار يحيى بقبوله ، وإنما يعملون هذا الأمر لهذا القريشى ، فبعث الأمير عبد الرحمن فى عبد الملك بن حبيب فقال له : قد تعلم يدى عندك ، وإنى أريد أن أسألك عن شيء فاصدقنى فيه فقال : نعم لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك فقال : إنه رفع إلينا عن يحيى ابن يحيى وعن القاضى أنهم يعملون علينا فى هذا الأمر فقال عبد الملك : قد علم الأمير ما بينى وبين يحيى بن يحيى ، ولكنى لا أقول إلا الحق ، ليس يجيء من عند يحيى بن يحيى

إلا مايجىء منى ، وكل مارفع إليه عليك فباطل، وأما القاضى فلا ينبغى للأمير أن يشركه فى عدله من يشركه فى نسبه، فعزله الأمير حينئذ عن القضاء .

قال محمد : وأخبرنى بعض العلماء قال : قدم موسى بن جدير من الحج فعرض عليه الأمير عبد الرحمن رحمه الله ولاية الخزانة فأبى من قبولها ، وذهب إلى الانقباض عن الخدمة فعافاه الأمير ، فلم يلبث موسى ابن جدير إلا يسيرا حتى استعدت عليه امرأة من جيرانه عند القاضى إبراهيم بن العباس وذكرت أنه طلبها فى دارها تلاصقه ، فأرسل فيه إبراهيم بن العباس فأحضره ، فقال له إن هذه المرأة تقول كذا وكذا ، وتدعى عليك بكذا وكذا ، فما تقول؟ فقال له موسى: أوكل من يخاصمها، فقال له تُقِر أو تنكر، ثم توكل بعد ذلك من شئت على الخصومة ، فقال له أوكل من يقر عنى أو ينكر ، فأبى إبراهيم أن يقبل ذلك منه واضطره إلى أن يجيب المرأة فى دعواها مقرا أو منكرا ، فلما لم يجد من ذلك بدا قال له: جميع ماتدعيه حق، وهى المصدقة ، ثم انصرف عنه وقد اعتقد له ضغنا عظيما ، وأضمر له حقدا شديدا ، ثم وضع يده فكتب إلى الأمير يسأله ولاية الخزانة ويذكر أنه تعقب أمرها فاستسهله من أجل أنها أمانة، يعطى الأموال كما يأخذها ، فأسعفه الأمير عبد الرحمن رحمه الله بذلك ، وولاه الخزانة فكان خازنا نحو الشهر ، ثم كتب إلى الأمير يستأذنه للدخول عليه ، فأدخله على نفسه ثم قال له ، أمر لا قرار عليه ، صح عندى أن القاضى إبراهيم بن العباس فى مجلس قضائه يخاطب بأن يقال له: يابن الخلائف ، فعزله عبد الرحمن بذلك ، قال محمد : وسمعت الأمير ولى عهد المسلمين. الحكم أبقاه الله يقول: سمعت الحاجب موسى بن محمد بن جدير يقول: إن موسى بن جدير دسس امرأة من مواليه فوقفت للقاضى على طريقه ثم قالت له يابن الخلائف . فكان ذلك سببا لعزل إبراهيم .

قال أحمد بن محمد بن أيمن ، أخبرنى أبى أن عياسا القرشى جد بنى العباس

شكاه إلى الأمير فى قصة دارت ، فقال له اذهب إليه فإن أذن لك مخليا فقد عزلته ، فلما توجه عباس استأذن عليه فلم يأذن له ، وأوصى إليه ، إن كانت لك حاجة فاقعد فى المسجد حتى أخرج إلى العامة ، فيسعك ما يسعهم فاتصل ذلك بالأمير فازداد بذلك عنده رفعة ودرجة .

ذكر القاضى يخامر بن عثمان الشعبانى

قال محمد هو يخامر بن عثمان بن حسان ابن يخامر بن عبيد بن اقنان بن وداعة بن عمرو، ولى القضاء سنة عشرين ومائتين وهو أخو معاذ بن عثمان ، ومعاذ هذا والد سعد بن معاذ الفقيه ، وكانا من أهل جيان من قلعة الأشعث ، وكان انتسابهما فى العرب إلى جذام فيما أحسب ، وكانوا فيما قيل لى من جند قنسرين ، ولى يخامر القضاء فعامل الناس بخلق صعب ، ومذهب وعر ، وصلابة جاوزت المقدار ، فلم تحتمل العامة له ذلك فسلطت عليه الألسن وكثرت فيه المقالة وانبرى له رجل من شعراء قرطبة فى ذلك الزمان ، وهو المعروف بالغزال ، فكان يهجوه ويصفه بالبله والجهل ، ومن بعض ماذكره فيه قوله فى شعر له .

فسبحان من أعطاك بطشا وقوة
وسبحان من ولى القضاء يخامرا

قال محمد قال لى ولى العهد أبقاه الله يوما وقد ذكر القضاة وأخبارهم : حدثنى محمد بن أبى عيسى قال طرحة بن الشمر : بين سحيات يخامر ابن عثمان الشعبانى سحاءة فيها مكتوب : يونس ابن متى والمسيح بن مريم ، فخرجت السحاءة إلى يخامر فأمر أن يدعى بهما فهتف الهاتف يونس بن متى والمسيح بن مريم ، فصاح ابن الشمر . نزولها من أشراط الساعة ، ثم أخذ سحاءة فكتب فيها .

يخامر ما تنفك تأتى بفضحة
دعوت ابن متى والمسيح بن مريما
بما قلت حينا ثم ناداك صائح
فإنهما بقى على الأرض فاعلما
قفاك قفا خربا ووجهك مظلما
وعقلك ما يسوى من البهر درهما

فلا عشت مودودا ولا عشت سالما
ولا مت مفقــودا ولا مت مسلما

قال محمد وتألب الناس ورفعوا إلى الأمير رحمه الله يشكون يخامر القاضي فلما كثر ذلك على الأمير عبد الرحمن رحمه الله ، أمر الوزراء بسماع الشهادة والنظر في أمر يخامر ، فذكرت عنه أشياء مدارها على قلة المداراة، وترك حسن المعاملة، وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان، يسمى ينير وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب ، فأرسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية ما أعرفه إلا أني سمعت الناس يقولون إنه إنسان ســوء ، وصغره باللفظ العجمي فلما رفع قوله إلى الأمير رحمه الله ، عجب من لفظه وقال : ما أخرج مثل هذه الكلمة من هذا الرجل الصالح إلا الصدق ، فعزله عن القضاء حينئذ . قال محمد قال لي محمد ابن عبد الملك بن أيمن : فلما أتى الفتى إلى يخامر بعزلته من عند الأمير رحمه الله قال له يخامر على رءوس الناس : قل للأمير أصلحه الله : إذ وليتني أمرتني أن أتحفظ من السلسلة السوء ، واليوم تعزلني ببغيها علي ، فلما بلغ الفتى قوله إلى الأمير قال : قبحه الله ذكر أسرارنا على رءوس الناس .

ذكر القاضي علي بن أبي بكر الكلابي

قال محمد ولما عزل الأمير عبد الرحمن ابن الحكم رضي الله عنهما يخامر عن القضاء ولي بعده رجلا من أهل قبره يسمى علي ابن أبي بكر بن عبيد بن علي الكلابي وكان لقبه يوانش ولا أحفظ له خبرا أكثر من ذكره .

ذكر القاضي معاذ بن عثمان الشعباني

قال محمد ثم ولي الأمير عبد الرحمن ابن الحكم رضي الله عنهما قضاء الجماعة معاذ بن عثمان الشعباني وكان من أهل جيان قاضيا سبعة عشر شهرا ثم عزله من بعد .

ورأيت في بعض الحكايات أنه إنما عــزله لأنه حفظت عليــه في تلك المدة سبعون قضية قضى بها ، فاستكثرت منه

قال محمد وهى فيما أرى حكاية مدخولة لأنه لا تذكر تنفيذ الأقضية وكثرتها مع حضور الحق وانكشاف الصدق .

قال محمد : فكرت فى مخرج هذه الحكاية فاسترتبها وذلك أن صاحبها الذى حكاها وكتب بها إلى ولى العهد أبقاه الله هو فلان ابن فلان حكاها عن أبيه وأراه صادقا على أبيه ولا تخلو هذه الحكاية من أن تكون صحيحة على أهل هذا الزمان الذى كان فيه معاذ قاضيا أو تكون غير صحيحة ، فإن كانت صحيحة فإنما طمس نور هذه الفضيلة وجحد حقها أهل التفقه من أهل ذلك الزمان ، ولا سيما الذين كانوا يشاورون من تعجيل الأحكام وسرعة التنفيذ مما يقربهم من أهل الخصومات وينيلهم ما يحبون وكلما طالت الخصومات كان أنفع لهم ، وأهل العلم بهم يعلمون ما أقول ، وإن كانت غير صحيحة فهى من تشنيع فلان لتثبت القضاة عن سرعة التنفيذ للذى أراغه وكناه من المعنى الذى ذكرناه آنفا ، فاعتبروا يا أولى الأبصار وكان

معاذ فيما سمعت حسن السيرة لين العريكة خالق الناس بغير خلق أبيه وأحسن التخلص منهم ، وسمعت من يحكى أنه كانت معه صحة وسلامة قلب ، فكان لا يظن بأحد شرا وكان قد ولى أحباسه بقرطبة رجلا ظن به خيرا فخالف ظنه فيه ، فقال فى ذلك الغزال :

يقول لى القاضى معاذ مشاورا
وولى امرأ فيما يرى من ذوى الفضل
فديتك ماذا تحسب المرء صانعا
فقلت وماذا يصنع الدب بالنحل
يدق خلاياها ويأكل شهدها
ويترك للذبان ما كان من فضل

قال محمد : كان معاذ قاضيا بقرطبة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وفى هذا التاريخ كان على سوق قرطبة إبراهيم بن حسين ابن خالد ، وفيه فسخ معاذ بن عثمان حكم إبراهيم عن بنى قتيبة فى الحوانيت التى هدمها عليهم إبراهيم ، وكان إبراهيم بن حسين ابن خالد صاحب نظر فخالف فقهاء زمانه

يحيي وعبد الملك وزونان فتظاهروا عليه وأبانوا خطأه وجاز قولهم عليه .

ذكر القاضي محمد بن زياد اللخمي

قال محمد : ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله قضاء الجماعة محمد بن زياد بن عبد الرحمن ابن زهير بن ناشرة بن لوذان بن حيس ابن حاطب بن حارثة بن راشدة بن زيد ابن حارثة بن جديلة ابن لخم بن عدى .

قال محمد : ومحمد بن زياد هو القاضي الحبيب بن زياد فكان حسن السيرة محمود الولاية وكان من أهل الفضل والخير وكان قد سمع من معاوية بن صالح الحضرمي سماعا كثيرا .

قال محمد : وقال لى محمد بن عبد الله ابن أبى عيسى لما احتضر يحيي بن يحيي أسند وصيته فى أداء دين وبيع مال إلى محمد ابن زياد ، وكان القاضي يومئذ فكان وصيه فى ذلك الوقت .

قال محمد: أخبرنى بعض رواة الأخبار قال : لما وضعت جنازة يحيي بن يحيي قال عبيد الله بن يحيي وهو يومئذ ابن سبع عشرة سنة للقاضى محمد بن زياد : تقدم فتقدم محمد ابن زياد وتقدم إسحق بن يحيي للصلاة على أبيه . فكبر محمد بن زياد وكبر إسحق حتى بلغوا إلى السلام ، فسلم محمد بن زياد وسلم إسحق بن يحيي ، هكذا كانت الصلاة على يحيي بن يحيي فلما انقضت الصلاة نظر محمد بن زياد إلى إسحاق بن يحيي ثم قال له ومن أقدمك على بهذا ؟ فقال له إسحاق ومن قدمك أنت على أبى ؟ فقال له حكم الصلاة عليه إلى دونك .

ومع هذا فإن أخاك قدمنى وهو أرشد منك، أما والله لولا حفظ هذا الميت لفعلت بك وفعلت، قيل فكان ثناء محمد بن زياد على عبيد الله بن يحيي ذلك اليوم أول سؤدد عبيد الله ، ثم كان له على إكرام ومبرة .

قال محمد : حكيت هذه القصة لمحمد ابن عبد الله بن أبى عيسى فلم يعرفها وقال : كان عبيد الله من أشد الناس إعظاما لأخيه

إسحاق وكان يأخذ بركابه إذا أراد أن يركب ، فما أدرى إن كان فعل مثل هذا فى أبيه . قال محمد : ذكر أحمد بن زياد عن ابن وضاح قال :شهدشاهد عند محمد بن زياد بشهادة،فقال غراب لمحمد بن زياد: ومن شهد على لوكان الشاهد مثل الليث بن سعد فقال له محمد بن زياد : وما ذكر الليث بن سعد ها هنا؟ فأمر به وذلك فى المسجد وهو والى الشرطة ، فقمع أسواطا قال فكان ذلك من فعله صوابا .

قال ابن وضاح: وابن القاسم يرى أن يعزر السلطان الرجل فى المسجد بالسوط . وسحنون يأبى ذلك .

قال: ولما ولى سحنون بن سعيد القضاء . حمل الضرب على الذى لا يريد غرم ماعليه ، وهو ملىء بعد أن حبسه فقيل له من أين أخذت الضرب؟ وإنما كنا نحبس حتى يغرم ، قال من حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله «مطل الغنى ظلم» فإذا كان ظالما كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبته على ظلمه • قال محمد بن وضاح: وقعت شهادات على بعض آل السلطان عند القاضى محمد بن زياد فأرسل القاضى إلى المشهود عليه رجلين يقولان له: إن فلانا وفلانا شهدا عليك بكذا وكذا فإن كان عندك مدفع فهاته ولم يمكنه من نسخة الكتاب فكتب بذلك المشهود عليه إلى الأمير رحمه الله فأوصى الأمير إلى القاضى فى ذلك فقال محمد ابن زياد : إنى خفت أن يفرضها على الزيغ والفجور فيعمل له الحجج حتى تعطل الشهادات وقد عرفته بهذا ظاهرا . قال محمد: ذكر لى بعض أهل العلم قال : كان محمد بن زياد يوما يمشى مع محمد بن عيسى الأعشى ، حتى لقيا رجلا يتمايد سكرا ، فأمر القاضى محمد بن زياد بأخذه ليقيم عليه الحد فأخذه أعوانه ثم مشى قليلا فأتى إلى موضع ضيق فتقدم القاضى وتأخر الأعشى،فى تأخره عن القاضى التفت إلى الذى كان يمسك السكران فقال : يقول لك القاضى : أطلقه فأطلقه ثم افترقا جميعا ونزل القاضى ، ودعا

بالسكران فقيل له : أمرنا عنك أبو عبد الله الفقيه أن نطلقه فقال وفعل ، قال له نعم ، قال أحسن . قال محمد : وما أتى عن القضاة فى هذا المعنى خاصة من الإغضاء عن السكارى والتغافل لهم ، والرقة عليهم فلا أعرف لذلك وجها من الوجوه يتسع لهم فيه القول ، ويقوم لهم به العذر إلا وجها واحدا ، وهو أن حد السكر من بين الحدود كلها لم ينصه الكتاب المنزل ولا أتى فيه حديث ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب فأمر أصحابه أن يضربوه على معصيته فضرب بالنعال وبأطراف الأردية ، ومات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يحد فى ضرب السكران حدا يلحق بسائر الحدود ، فلما نظر أبو بكر رضى الله عنه فى ذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم واستشار أصحابه قال له على بن أبى طالب رضى الله عنه : من شرب سكر ، ومن سكر هذى ومن هذى افترى ، ومن افترى وجب عليه الحد أرى أن يضرب الشارب ثمانين ، فقبل ذلك منه الصحابة ، فذكر أهل الحديث أن أبا بكر عند موته قال ما شىء فى نفسى منه شىء غير جد الخمر ، فإنه شىء لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شىء رأيناه من بعده .

قال محمد : كان السبب فى عزلة محمد بن زياد عن القضاء ما كان من أمر ابن أخى عجب ، وذلك أنه شهد عليه بلفظ نطق به متعبثا فى يوم غيث ، فأمر الأمير عبد الرحمن رحمه الله بحبسه فأبرمته عجب فى إطلاقه وكانت مدلة عليه لمكانها من أبيه ، فقال لها نكشف أهل العلم عما يجب عليه فى لفظه ، ثم يكون الفصل فى أمره ، فأمر الأمير رحمه الله محمد بن السليم وهو يومئذ والى المدينة أن يحضر القاضى محمد بن زياد وفقهاء البلد فجمعهم فى مجلس النشمة ، فحضر حينئذ عبد الملك بن حبيب ، وأصبغ بن خليل وعبد الأعلى بن وهب وأبو زيد بن إبراهيم وأبان ابن عيسى بن دينار . فشاورهم فى أمره وأخبرهم بما كان من لفظه ، فتوقف عن الإشارة

بسفك دمه القاضى محمد بن زياد ، وأبو زيد وعبد الأعلى ، وأبان، وأشار بقتله عبد الملك ابن حبيب وأصبغ بن خليل ، فأمرهم محمد ابن السليم أن ينصوا فتياهم على وجهها فى صك ليرفعها إلى الأمير رحمه الله ففعلوا، فلما تصفح الأمير قولهم استحسن قول عبدالملك وأصبغ ، ورأى ما رأيا من قتله ، وأمر حسان فخرج عليهم فقال لصاحب المدينة : قد فهم الأمير أكرمه الله ما أفتى به القوم فى أمر هذا الفاسق ، وهو يقول للقاضى إذهب فقد عزلناك. وأما أنت يعنى عبد الأعلى فكان يحيى بن يحيى يشهد عليكم بالزندقة ومن كانت هذه حاله فحرى ألا يسمع فتياه وأما أنت يا أبان بن عيسى فإنا أردنا أن نوليك القضاء بجيان فزعمت أنك لا تحسن القضاء، فإن كنت صادقا فما آن لك أن تتعلم الفتيا ، وإن كنت كاذبا فالكاذب لا يكون أمينا .

وقال للآخر كلاما أمسك عنه صاحب الجناية وأراه ذهب إلى حفظ بعض ولده .

ثم قال حسان الفتى لصاحب المدينة : والأمير أكرمه الله يأمرك أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين؛ عبدالملك، وأصبغ ، فأمر لهما بأربعين غلاما من الغلمان ينفذون نقما فى هذا الفاسق ما رأيا .

فخرج عبد الملك وهو يقول سُبَّ رب عبدناه إن لم ننتصر له ، إنا لعبيد سوء ، ثم أخرج المحبوس فوقفا حتى رفع فى خشبته وهو يقول لعبد الملك:أبا مروان : اتق الله فى دمى فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . وعبد الملك يقول : الآن وقد عصيت قبل ، حتى صلبَ وانصرفا .

قال محمد ولم ينقم على محمد بن زياد فى ولايته شيء من الأشياء فيما ذكر أهل العلم غير دالة كانت تظهر من امرأته عليه على مايفعله الأزواج بيعولتهن والناس إلى تقفّى المعايب سراع فكان ذلك مما يغمض به عليه فى ذلك الوقت، وكانت تلك المرأة تسمى «كفات»

قال أحمد بن أيمن : وأخبرنى أبى محمد بن عبد الملك بن أيمن قال : لما أفضت الخلافة

إلى محمد رحمه الله كلم فى إعادة محمد بن زياد إلى القضاء والصلاة، وكان له صنيعة قبل ولايته فأبى وقال: ترانى نسيت ما كان الناس يشنعون به فى أمر «كفات» فصرفه إلى الصلاة وحدها.

قال محمد بن وضاح: سمعت محمد بن زياد لما ولى الصلاة المرة الثانية فى أيام محمد الأمير رحمه الله يقول للقومة وقد دعاهم: إنما بلغتى عنكم . . . فاتقوا الله واستقيموا وأعينونى على الحق، لئن وجدت أحدا منكم قد خلط لأجعلنه نكالا. ثم قال: انظروا إلى واجعلونى من بالكم فإن رأيتمونى أخلط فأنتم فى سعة من التخليط وإن رأيتمونى أريد الحق فأعينونى ولا تجعلوا إلى أنفسكم سبيلا.

ذكر القاضى سعيد بن سليمان الغافقى

قال محمد أبو خالد سعيد بن سليمان ابن حبيب: كان أصله من مدينة غافق ولى قضاء ماردة وغيرها قبل ولايته قضاء قرطبة، ثم ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم رضى الله عنهما قضاء الجماعة بقرطبة، قال محمد: وسليمان بن سعيد غير سليمان بن سود قاضى الجماعة بقرطبة.

قال محمد: وكان الفقيه أبو عثمان العراقى يحكى عن أبى عبد الله محمد بن وضاح فيما أخبرنى فرج بن سلمة وذكره أيضاً خالد ابن سعد قال: ولى القضاء أربعة فاتصل العدل بهم فى آفاق الأرض. رحيم بن اليتيم بالشام، والحارث بن مسكين بمصر، وسحنون ابن سعيد بالقيروان، وأبو خالد سعيد بن سليمان بقرطبة.

قال محمد بن حارث: فأما رحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم فكان من أهل دمشق، وولاه قضاء الشام جعفر المتوكل وكانت وفاة رحيم بن عبد الرحمن المعروف بابن اليتيم بالرملة سنة خمس وأربعين ومائتين. ولم أعلم بتاريخ ولايته القضاء متى كان. وأما الحارث بن مسكين فإنه ولاه قضاء مصر جعفر المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين، جاءته ولاية القضاء وهو

بالاسكندرية ، ثم حمل إلى مصر فكان قاضيها إلى أن عزل يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين .

وأما سحنون ابن سعيد التنوخي فإنه ولاه قضاء إفريقية محمد بن الأغلب التميمي سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وتوفى سحنون قاضياً غير معزول يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين .

وأما سعيد بن سليمان فإنه ولاه قضاء الجماعة بقرطبة عبد الرحمن ابن الحكم رحمهما الله فكان قاضيه حتى مات عبد الرحمن رحمه الله، ثم أقره على القضاء محمد بن عبد الرحمن رضى الله عنه فقضى له نحو السنتين ، ثم مات بقرطبة قاضياً غير معزول ، قال محمد : ولم أسمع بتاريخ ولايته القضاء متى كان، غير أنه كان بلا شك بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال خالد بن سعد : أخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم عن أحمد بن عبد الله بن أبى خالد أنه أدرك القاضى سعيد بن سليمان ورآه يقضى بين الناس وأنه لما أراد الأمير عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله أن يوليه القضاء بقرطبة أرسل فيه رسولا فرافقه وهو يقف على أزواج له تحرث بفحص البلوط فى ضيعته فقال له الرسول ، تركب إلى قرطبة فإن الأمير ذهب إلى توليتك القضاء ، قال له : دعنى حتى أبلغ إلى منزلى أتجهز بما أحتاج إليه فأبى الرسول أن يتركه وقال: كن هاهنا معى ، وأرسل إلى منزلك فى دابتك وما تحتاج إليه من الزاد ففعل . فلما قدم قرطبة ولاه الأمير رحمه الله القضاء فجلس للحكم فى المسجد وعليه جبة صوف بيضاء ، وفى رأسه «أقروف» أبيض ، وغفارة بيضاء من ذلك الجنس ، فلما نظر الخصوم إليه احتقروه فجاءوا فى مغيبه عن المسجد بقفة مملوءة من قشر البلوط فوضعوها تحت الحصير الذى كان يصلى عليه فلما أتى القاضى بعد ذلك وقام على الحصير أحس تحته شيئاً يتكسر ، فلما فلما فرغ من الصلاة أخذ يرفع الحصير فنظر إلى قشر البلوط ، فقيل له : إن بعض الخصوم

فعلوا ذلك ، وصح عنده ما قيل له فيهم ، فلما أتوه من بعد ذلك قال لهم : يامعشر الخصوم عيرتمونى بأنى بلوطى . أنا أشهد على نفسى أنى بلوطى . عود والله صليب لا تفلوا فيه . ثم حلف لهم بإثر كلامه هذا أن لا يخاصموا عنده سنة فكاد أن يورثهم الفقر .

قال محمد : حدثنى فرج بن سلمة البلوى قال : حدثنا سعدون بن ناصر بن قيس وكان شيخا من أهل الحركة : أن أباه كان وكيلا لسعيد بن سليمان وأنه قدم فى بعض الأيام من فحص البلوط على القاضى سعيد بن سليمان ، فألفى بين يديه رجلا وزوجته ، قال ناصر بن قيس : فلما دخلت على القاضى قال إلى مسلما : ثم جلس فقال لمن حوله هذا مقيتى ومقيت عيالى بحول الله ، ثم سألنى عن رفعه فى ذلك العام ، فقلت له رفع القاضى بسبعة أمداد من شعير وثلاثة أمداد من قمح . فحمد الله وأثنى عليه ثم عاد إلى التكلم بين الرجل وزوجته اللذين ألفيتهما بين يديه ، فقال الرجل : يا قاضى تأمرها بالنهوض معى إلى منزلى فلصقت بالأرض المرأة وتأبت أن لا تمشى معه فى الأرض شبرا ، ثم قالت للقاضى : بالله الذى لا إله إلا هو لئن صرفتنى إليه لأقتلن نفسى وتكون المسؤول عن دمى ، قال ناصر : فلما سمع القاضى كلام المرأة عطف على رجل إلى جنبه حسبته كان فقيها فقال له ما ترى ؟ له إن كان القاضى وفقه الله لم يظهر له أن هذا الرجل يضر بزوجته فليجبرها على المسير معه أحبت أو كرهت إلا أن يشاء الرجل أن يفارقها بفدية أو غيرها . فإن أبى إلا الفدية فذلك خلال له ويخلعها ولو من قرطها إن لم يكن له منه ضر إليها . فقال الزوج والله مالها مال قال له فلو ذهبت إلى الافتداء منك أ كنت تفارقها فقال له : كنت أسمح قال ناصر فعاد على القاضى فقال هل جلبت من الطعام فى جيئتك هذه شيئا ؟ فقلت له بلى . جابت مدًّا من قمح ومدين من شعير . قال ناصر فرأيته يقلب أصابعه ثم قال قوت تسعة أشهر كثير ثم قال لزوج المرأة خذ ما بقى من رفعى فى ضيعتى وأرحها من

نفسك وأرح نفسك منها فقال الزوج كنت أفعل، لو كان الطعام بقرطبة فقال له القاضي أحسبك مغتنما، ثم وضع يديه فى الأرض وقام ودخل الدار وأخرج شقة بيضاء من صوف فدفعها إليه، وقال للزوج هذه شقة عملت فى بيتى لشتوتى، وأنا إن شاء الله غنى عنها فخذها واستعن بثمنها فى جلب الطعام إلى نفسك، فأخذها وبارأ زوجته، وأمرنى بدفع الطعام إليه فأقبضته إياه .

قال خالد بن سعد : أخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم عن رجل فاضل من خيار المسلمين أدرك سعيد بن سليمان القاضي قال : قضى سعيد بن سليمان يوما فى المسجد إلى أن مضى صدر النهار ثم قام منصرفا إلى داره فلما هم بدخول الدار فإذا بوالد نصر الفتى مقبلا وأعوانه بين يديه، وكان أعجمى اللسان فصاح على البعد بالعجمية، كلموا القاضي، يثبت على، أكلمه فقال القاضي قولوا له بالعجمية إن القاضي قد أدركته الملالة والسامة من طول الجلوس للقضاء فإذا جلس بالعشى فى المسجد للنظر بين الناس تعود إليه لينظر فى حاجتك إن شاء الله، ثم دخل القاضي داره ولم يقف عليه .

قال خالد بن سعد : وكان محمد بن عمر ابن لبابة يصف سعيد بن سليمان القاضي بالخير والفضل ويثنى عليه ويصفه بالتواضع قال محمد بن عمر ابن لبابة أخبرنى محمد ابن أحمد العتبى قال : صلى بنا سعيد بن سليمان القاضي صلاة الجمعة فى المسجد الجامع بقرطبة . ثم خرجنا معه يمشى ولم يركب ومشينا معه حتى بلغ إلى الفرن الذى كان يطبخ فيه خبزه فقال للفران : خبزتى مطبوخة ؟ فقال له نعم فقال له هاتها فناولها له فأخذها فجعلها تحت عضده وأقبلنا نمشى حتى بلغنا الدار فدخل وانصرفنا عنه .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم قال : كان سعيد بن سليمان القاضي يحكم فى المسجد الجامع ويأتى إليه ماشيا، وأنه كان يوما من الأيام مقبلا ضحى فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه وكان سعيد بن حسان منقبضاً عنه فقال له القاضي : أبا عثمان

مالك تنقبض عنى فلا تأتين؟فو الله ما أريد إلا الحق،ولا أقصد غيره، فقال له سعيد بن حسان: والله لو أعلم هـذا ما قعدت عنك ولتحملت هذه الخريطة بين يديك. ثم عاد سعيد إلى إتيانه .

قال محمد ولبث سعيد بن سليمان قاضيا إلى أن مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم رضى الله عنه سنة ثمان وثمانين ومائتين فحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن عمن أخبره ممن شهد البيعة للأمير محمد: رحمه الله إنه لما دخل عليه القاضى سعيد بن سليمان ودنامنه قال له محمد الأمير :أيها القاضى أمض على نظرك فتمادى قاضيا فى أول أيام الأمير محمد رحمه الله نحو عامين ثم مات غير معزول ولا أعلم له عقباً .

قال محمد: وجدت فى تسمية المستخرجة من ديوان القضاء أنه تلا سعيد بن سليمان فى القضاء محمد بن سعيد ، فلا أدرى إن كان محمد بن سعيد بن سليمان أو غيره ولم أجد له خبرا ولا سمعت له عند من أدركت من العلماء ذكرا، حاشى اسمه فإنه موضوع مع جملة أسماء قضاة الجماعة فى التسمية المستخرجة من الديوان .

ذكر القاضى أحمد بن زياد اللخمى

قال محمد:أحمد بن زياد بن عبد الرحمن أخو محمد بن زياد المتقدم ذكره من قبل وقع عليه اختيار الأمير محمد رحمه الله فاستقدمه من شذونة وولاه قضاء الجماعة ، فسار بخير سيرة وأجملها فكان بطلا صالحا صحيح المذهب حسن السيرة ويقال أنه كانت فيه عجرفية مع حسن حاله واستقامة حاله .

قال محمد: قال لى بعض رواة الأخبار : كان أحمد بن زياد شديد التهيب فى قضائه لا يخاطب فى شىء من أمر الخصوم إلا فى مجلس نظره ولا يأذن لأحد يلقاه فى طريق فى مواكبته ولا أن ينصرف معه ومن ألح فيما لا ينبغى من ذلك أمر بحبسه وذكر أنه لقيه محمد بن يوسف عند باب القنطرة يوما من الأيام، وقد أمر أحمد بن زياد بحبس رجل اعترضه بكلام لا يصلح له أن يكلمه به

وكان الأعرج ضيق الخلق شديد الحرج، فقال له حينئذ هيبة الجبارين ومذهب المتكبرين لا يكلم على الطريق فأمر أحمد بن زياد بحبس الأعرج واتصل الخبر بأهل الجامع لقرب الموضع وكان فى تلك الساعة فى الجامع صاحب الشرطة محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم فخرج إلى أحمد بن زياد فعاب عليه وكسر رأيه ، فانصرف القاضى عن رأيه وأمر بترك محمد بن يوسف .

قال محمد: وكان أحمد بن زياد قاضيا تسعة أعوام وأشهرا إلى أن أحدث بعض أولاده بشذونه حدثا فاتصل ذلك بالأمير محمد رحمه الله، فوجه لامتحان ذلك ولدا لمحمد ابن موسى الوزير يسمى بموسى، وكان لقنا ذكيا من أهل النظر والحركة فقدم بتصحيح ذلك الحديث فدارت على القاضى فيه غضاضة ونالته منه ذلة قال محمد: أخبرنى أحمد بن عمر ابن لبابة أن هاشم بن عبد العزيز أراد القاضى أحمد بن زياد على أن يبيع دارا كانت بالمدينة للأيتام من بعض أولاد الأمير محمد رحمه الله فابى، ولج، وقال: لا أبيعها وكان كاتبه يومئذ عمرو بن عبد الله ، فعمد لنفسه فى القضاء مع هاشم بن عبد العزيز ، ثم زين حمد بن زياد أن يكتب إلى الأمير ، يستعفيه عن القضاء فأطاعه أحمد بن زياد وكتب بذلك، فلما خرج الكتاب من حكمه دخل عليه من خاصته رجل فقال له أنت قصير وكاتبك قصير وأنا قصير فاحذر أن يغلبك ويغلبنى كاتبك عمرو فما الذى أشار به عليك ، قال : بأن استعفى وأكتب بذلك إلى الأمير وقد فعلت قال: أنت والله معزول قال: فحكى ذلك الرجل قال: فما برحت من بين يديه حتى أتى صاحب الرسائل فقال له يقول لك الأمير أصلحه الله تبرأ بالديوان إلى قاضينا عمرو بن عبد الله .

وحكى بعض أهل العلم قال : لما نالت أحمد بن زياد الكسرة وأدركته الغضاضة فيما أحدث ولده بشذونة شاور كاتبه عمرو بن عبد الله فى أمر نفسه وما يحمل عليه فى السبب الذى دار عليه فقال له

عمرو: أرى أن تكتب إلى الأمير تستعفيه فإن الملوك من شأنهم إذ استعفوا أن يلجوا فيكون إقرارهلك بعد الاستعفاء ولاية مجددة، فأصغى أحمد بن زياد إلى ذلك وكتب بطاقة وحبرها عن رأيه، وكان على أحباس أحمد ابن زياد أى ذلك الوقت رجل من أكياس الناس ودهاتهم، يعرف بزيد الغافقى فدخل زيد على أحمد بن زياد وعمرو بن عبد الله خارج عنه، وقد أحكم البطاقة فلما دخل عليه زيد قال له أيها القاضى إن هذا الخارج عنك يعنى عمروا قصير وأنا قصير وليس فينا خير، فقال له زيد: وإنه خدعك فوالله لئن رفعت إلى الأمير تستعفيه ليغتنمها منها بسبب مادار عليك. فعصاه القاضى، وأمضى البطاقة على وجهها فعزله الأمير رحمه الله فكان محمد بن أيمن يحكى عن زيد قال: بينما أنا فى السوق إذ ضرب على شرطى فقال أجب القاضى، فقلت: أى قاض فقال عمرو بن عبد الله فأتيته فوجدته فى الجامع قاعدا وكان زيد يحكى قصة طويلة عرضت له مع عمرو فى ذلك قال خالد بن سعد، أخبرنى بعض أصحابنا قال: أخبرنى يحيى بن زكرياء قال لما ولى عمرو بن عبد الله القضاء أبى أن يقبض الديوان إلا من أحمد بن زياد فبعث فيه عمرو وعزم عليه أن يأتيه بالديوان بنفسه لا يكل ذلك إلى أحد سواه وأتاه به إلى الجامع فدفعه إليه فلما قام أحمد أخذ بعضده ثم قال له ياعمرو لقد فتحت على القضاء بابا لايخطئك شره.

ذكر القاضى عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة

قال محمد هو مولى أبيه عبد الرحمن بن معاوية، وهو عمرو بن عبد الله أبو عبد الله كان مولى وهو أول من ولى قضاء الجماعة للخلفاء من الموالى فشق ذلك على العرب . . . وتكلموا فيه، فبلغ ذلك الأمير محمدا رحمه الله فقال: وجدت فيه ما لم أجد فيهم. فقال العرب أما القضاء فإنا لا نعترض فيه لأنه من سلطانه، وأما الصلاة فإنا لا نصلى وراءه، فولى الأمير رحمه الله الصلاة التميرى عبدالله بن الفرج. وكان عمرو

ابن عبد الله صنيعة للأمير محمد رحمه الله من قبل أن يلي الخلافة وكان عارفا بفضله وعقله وأدبه فقدمه على تجربة ، وولاه عن خبرة وقلده قضاء الجماعة سنة خمسين ومائتين .

قال محمد : ومن قبل أن يكتب عمرو ابن عبد الله لأحمد بن زياد القاضي كان قاضياً على كورة «استجه» فأخبرني من أثق به قال : أتاه عيسى بن فطيس متظلماً من ابن عائشة القرشي فقال : وشكا وأكثر فسكت عنه عمرو بن عبد الله ولم يجبه بحرف واستمر ابن فطيس في الشكوى فلما بلغ عمرو إلى دار سكناه دخل من الباب وحول وجهه إلى ابن فطيس وألقى إليه كلاما فصلا، قليل اللفظ كثير المعاني عجيب الحكم قال له : الغالب في القربة هو الغالب عندى فلقنها عنه ابن فطيس . . . فجمع عبيده ومن لاذ به من سلطانه على خصمه فغلبه ثم اجتمعا عند القاضي من بعد فأنكر ابن فطيس جميع ما ادعى به عليه خصمه وانصرف غير محكوم عليه وكلف ابن عائشة البينة على دعواه فغلب ابن فطيس في الظاهر كما غلب في الباطن .

قال محمد : وجملة القول في وصف عمرو ابن عبد الله أنه كان جميل الرأى ، حسن السمت طويل الصمت ، قليل الحركات، إذا نطق كأنما ينطق من صدع صخرة ، مع الهيبة الشديدة والمروءة الظاهرة ،لا ينظر إلا لحاً ولا ينطق إلا تبسما. حكى في ولايته الأولى محمد بن بشير في صحة الأمور وشدة النقاوة وحسن السيرة وإيثار العدل. وكان إذا قعد لا يتقرب منه خصم ولا يدنو منه أحد وكذلك كان إذا ركب لا يصحبه صاحب ولا يصير إلى جانبه راكب ، مع قوة السكينة والصلابة الشديدة والتنفيذ الوشيك وقلة المداراة لمن لصق بالخليفة من وجوه خاصته وعيون رجاله .

أخبرني بعض رواة الأخبار قال حكم عمرو بن عبد الله على هاشم بن عبد العزيز في «مجشر» كان في يده بجانب جيان بعلمه بلا بينة ولا أعذار وسجل ، وأشهد ، ونفذ وذكر أهل العلم قال : حدثني بعض شيوخ

مسجد أبى عثمان قال: التقى عمرو بن عبد الله بهاشم بن عبد العزيز فلم يزد القاضى على أن سلم على هاشم ، فلوى لم يثن معه عنانا، ولا وقف عليه فواقا .

قال خالد بن سعد كان محمد بن مسرور يذكر أنه توجه ذات يوم إلى القاضى عمرو ابن عبد الله وذلك قبل الظهر قال: فوجدت الناس ينتظرون خروجه إلى المسجد فخرج وبين يديه رجل يحمل خريطته بكتب، وشيخ يمشى إلى جنبه فإذا هم رجل أن يدنو من القاضى ليكلمه فى مسيرة إلى المسجد دفعه عنه وقال: اذهب حتى يجلس القاضى فى مجلس القضاء .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم قال: مات ابن لعمرو بن عبد الله فمشت قريش فى جنازته فى حفل لم يشهد أحد أفخم منه منظراً ولا أكثر عدداً .

قال محمد: وكان عمرو بن عبد الله حليما وقوراً ضابطا لنفسه عند ساعة الغضب ومعاينة المكروه ، حكى أحمد بن محمد ابن عبد الملك فى كتابه قال: كان عمرو بن عبد الله يلقب بالبقعة وذلك أنه كان دحداحاً قصيراً يكاد يخفى إذا قعد ، وكان إذا قعد مقعد القضاء أمر من كانت له عنده خصومة أن يكتب اسمه فى رقعة ، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه ويدعو بأصحابه الأول فالأول على ما يخرج إلى يده من الرقاع فأتى رجل إلى مؤمن بن سعيد الشاعر وكان كثيرا مايلزم المسجد الذى كان يجلس فيه عمرو بن عبد الله لقرب جواره منه فسأله أن يوقع له اسمه فى رقعة فقال له : ما اسمك ؟ فقال له عقبة فكتب له مؤمن بن سعيد رقعة فأخذها الرجل فقذفها بين الرقاع فلما خرجت إلى يد القاضى شعر له وجعل يؤخرها حتى انقضت الرقاع فقال القاضى لما خف الناس عنه من عقبة فتقدم إليه الرجل فقال له من كتب اسمك ؟ فوصف له صفة مؤمن فقال له إياك أن تقعد إليه ثانية .

قال لى عثمان بن محمد: أخبرنى أبى قال: شهدت مجلس عمرو بن عبد الله يوما من

الأيام فى المسجد المجاور لداره فرأيته جالساً يحكم بين الناس وعليه ثوب «شركاب» وهو جالس فى ركن المسجد مع من جلس إليه من أهل الحوائج والخصومات. وفى الركن الثانى الذى يقابله مؤمن بن سعيد قد جلس مع من جلس إليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الأدب، قال: فتلاحى حدثان من جلاس مؤمن فى شىء فرفع أحدهما يده بخف فضرب صاحبه فأصابه ثم سقط الخف بعد الضربة فى مجلس القاضى وظن من حضر أنه ستكون منه صولة فما زاد أن قال لقد آذانا هؤلاء الأحداث قال: فرأيت الأحداث يتسللون لواذا فرقا من القاضى، وحشمة مما أتى من جهتهم.

قال: ثم لم أبرح من المجلس حتى قام عمرو بن عبد الله متوجها إلى داره وقام الناس معه فلما بلغ باب الدار وقف، وحول وجهه، واتكأ على عصاه، ثم قال: من كانت له حاجة فليتكلم فيها فتكلم الناس ثم قال عمرو: أين رسول الأمير أبى اسحق حفظه الله؟ فدنا رجل فقال: أنا هو فقال أبلغ الأمير أكرمه الله، السلام يعنى أخا الأمير رحمهما الله وقل له ظلمت وأسأت فيما فعلت، عمدت إلى رجل قد أخذه حكمى فآويته وسترته تريد أن تمنع الحق من أن ينفذ عليه، إن لم تخرجه وتبرزه، ليؤدى ما عليه ويصير فيه إلى الواجب وإلا أرسلت إليك من يسمر أبواب دارك، ثم دخل إلى داره.

قال محمد بعض أهل العلم يحكى قال اختصم رجلان إلى عمرو بن عبد الله فأظهر أحدهما وثيقة ثم صار إلى سترها فقال له عمرو: أظهر الوثيقة فأبى فعزم عليه عمرو، واشتد فأخرجها الرجل وهو مغضب من كمه فرمى بها القاضى فأصاب وجهه فاصفر وجه عمرو حتى امتقع لونه وظن الناس أنه سيأمر به فأدركه حلمه وأعرض عن ذلك ونظر فى الوثيقة، ثم قال للرجل أليس هذا أحسن؟

وكان سليمان بن عمران قاضى القيراون يكتب إلى عمرو بن عبد الله:

من سليمان بن عمران قاضي القيروان إلى عمرو بن عبد الله فكان عمرو يسوغه ذلك ولا ينكره عليه ويكتب إليه الجواب بتقديم سليمان بن عمران وتأخير نفسه فلما ولى سليمان بن أسود، عامله سليمان بن عمران تلك المعاملة فلم يحتملها سليمان بن أسود ، نجاوبه بتقديم نفسه، فكان سليمان بن عمران يقول: يا عجبا يعزل مثل عمرو بن عبد الله عن القضاء ويلى مثل سليمان ابن أسود ذلك الجلف الجافى. ؟!

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن: كان مؤمن بن سعيد الشاعر يوما جالسا عند عمرو بن عبد الله، وكان فى مؤمن من الهزل والنادر ما قد عرف وحفظ، فقال: هذا أبو زيد الخدرى اتخذ غلاما لخدمته فقال الناس كيت وكيت، فعرض بالشيخ فاستغرب كل من حضر ضحكا، فلم يزد عمرو على أن وضع يديه على فه وأشار إلى التبسم .

قال خالد بن سعد : أخبرنى وليد ابن إبراهيم قال: أرسلنى أبى إبراهيم بن لبيب ذات يوم فى حاجة إلى عمرو بن عبد الله القاضى وكان صديقا لأبى ، فدخلت عليه فى المسجد وهو يقضى بين الناس إذ أتاه رجل ضعيف ، عليه أطمار ، فشكا إليه بعض عمال الأمير محمد رحمه الله وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر مرشحا فى وقته للمدينة ثم صار بأثر ذلك إلى ولاية المدينة فقال له يا قاضى المسلمين إن فلانا غصبنى دارا فقال له عمرو بن عبد الله القاضى خذ فيه طابعا فقال له الرجل الضعيف مثلى يسير إلى مثله بطابع لست ، آمنه على نفسى فقال له القاضى خذ فيه طابعا كما آمرك فأخذ الرجل طابعه ثم توجه إليه به قال: وليد : فقلت فى نفس لأقعدن حتى أعلم كيف تكون صلابته فى أمره فلم تكن إلا ساعة إذ رجع الرجل الضعيف فقال له: يا قاضى إنى عرضت عليه الطابع عن بعد ثم هربت إليك فقال له عمرو : اجلس سيقبل قال وليد بن إبراهيم فلم أنشب أن أتى الرجل فى ركب عظيم وبين يديه الفرسان

والرجالة فثنى رجله ونزل، ثم، دخل المسجد فسلم على القاضي وعلى جميع جلسائه، ثم تمادى كما هو وأسند ظهره إلى حائط المسجد فقال له القاضي عمرو بن عبد الله: قم هاهنا فاجلس بين يدى مع خصمك فقال له: أصلح الله القاضي إنما هو مسجد والمجالس فيه واحدة لا فضل لبعضها على بعض فقال له عمرو: قم هاهنا كما أمرتك واجلس بين يدى مع خصمك فلما رأى عزم القاضي فى ذلك قام فجلس بين يديه وأشار القاضي إلى الرجل الضعيف أن يقعد مع صاحبه بين يديه فقال عمرو للرجل الضعيف ما تقول؟ فقال: أقول غصبنى دارا لى. فقال القاضي للمدعى عليه ما تقول فقال: أقول إن لى عليه الأدب فيما نسب إلى من الغصب، فقال القاضي: لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب كما ذكرت فأما من كان معروفا بالغصب فلا. ثم قال لجماعة من الأعوان ممن كان بين يديه: أمضوا معه، وتوكلوا به، فإن رد إلى الرجل داره وإلا فردوه إلى حتى أخاطب الأمير أصلحه الله فى أمره، وأصف له ظلمه وتطاوله، فخرج مع الأعوان فلم تكن إلا ساعة حتى انصرف الرجل الضعيف والأعوان فقال الرجل للقاضي: جزاك الله عنى خيرا قد صرف إلى دارى فقال له القاضي إذهب فى عافية.

قال محمد بن وليد: لم يزل عمرو بن عبدالله فى ولايته الأولى عظيم القدر، ظاهر الفضل معروف العدل تضرب به الأمثال ويهدد به الظالم لا يعدل به أحد فى جميل مذاهبه إلى أن قيم عنده على بقى بن مخلد بتلك الأسباب الناجمة وتشاهد عليه بياض البلد وشيوخ المصر، عازمين على سفك دمه وقطع أثره وشنعوا عند الأمير رحمه الله من ذلك شُذَّ عَظُم اهتمام الأمير بها فشاور الأمير فى ذلك هاشما وقال قد شهد شيوخ البلد ووجوهه على هذا الرجل بما شهدوا به فإن أردت أن أرد شهاداتهم وأسقط مقالتهم صعب ذلك على وإن أوقعت بالرجل على زهده وخيره فعلت عظيما فما ترى؟ قال له هاشم: أرى أن تعزل القاضي الذى قام هذا السبب عنده فإنك إذا عزلته سكن

القوم وانكسر حدهم، وصعب عليهم استئناف الخبر عند الوالى بعده فعزل الأمير محمد عمرو ابن عبد الله لهذا السبب .

ذكر القاضي سليمان بن اسود الغافقي

قال محمد: سليمان بن أسود بن يعيش ابن جشيب من مدينة غافق، ولى كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة بقرطبة ، وولى خالد بن سعيد هذا قضاء فحص البلوط .

قال محمد : وبمدينة ماردة كان تزوّج سليمان بن أسود أخت سليمان بن سليمان بن هاشم المعافرى . ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمن رضى الله عنهما قضاء الجماعة بقرطبة إذ عزل عن القضاء عمرو ابن عبد الله ، وكان السبب الذى قدمه عند الأمير وأحله بقلبه محل الجلالة أمرين : أحدهما أن الأمير محمدا رحمه الله إذ كان بماردة فى حياة الأمير عبد الرحمن رضى الله عنه، تطاول بعض أعوانه فانتزع من رجلٍ ابنته وكان سليمان بن أسود حينئذ قاضيا بماردة فلجأ الرجل المظلوم إلى سليمان القاضى فاستغاثه فكتب إلى الأمير محمد يعلمه بالخبر فأبطأ عليه الجواب بما أحب منه من الإنصاف فركب دابته ووقف بباب القصر بماردة وكتب إلى الأمير رحمه الله هذه طريقى إلى أبيك إن لم تغير على أعوانك ماصنعوا فبلغه الأمير محمد إلى ما أحب من الإنصاف فلما ولى محمد رضى الله عنه قيل لسليمان: إخرق الأرض وادخل فيها فقد علمت ما قدمت إلى الأمير محمد إذ كان بماردة فلم ير منه مكروها وكان حظيا عنده مقدما لديه وكان أحد الأربعة الداخلين على الأمير محمد رحمه الله فيما يحتاج من إشهاد واستفتاء .

والثانية أنه لما عزل سليمان عن قضاء ماردة وافى باب القصر بقرطبة وكتب إلى الأمير محمد رحمه الله : إن بيدى ما لا تجمع من أرزاقى وجب على صرفه إلى بيت المال وهو مما حاسبت فيه نفسى من أيام الجمع وأوقات الاشغال والأحيان التى وجب على فيها النظر فلم أنظر فخرج إليه الجواب من عند الأمير: هو لك صلة من عندنا فأبى أن يقبله حتّى يقبض منه .

وأما القصة الأولى فمشهورة مستفيضة عند العامة والخاصة وأما القصة الثانية فأخبرنى بها فرج بن سلمة البلوى عن محمد بن عمر بن لبابة .

قال محمد: وبلغنى أن سليمان بن أسـود كان له حظ من علم الأدب وربما صنع الأبيات من الشعر فخاطب بها الخلفاء والخاصة من الإخوان .

قال خالد بن سعد : أخبرنى وليد بن إبراهيم بن لبيب قال: أخبرنى سليمان بن سليمان بن أسود قال: حضرت ختنى سليمان ابن اسود إذ ولى القضاء وعزل عمرو بن عبد الله وكانا جميعا فى ذلك الحين مجتمعين فى الجامع فخرجا جميعا فى واحد: الوالى والمعزول فلما أتيا باب العطارين وخرجا من المدينة افترقا فمال الناس كلهم مع سليمان بن أسود ومال عمرو بن عبد الله وحده إلى داره ليس معه أحد ، وكان من قبل ذلك بباغة قاضيا قال سليمان: فهممت أن أميل مع عمرو بن عبد الله مما استحييت وعجبت من غدر الناس وقلة وفائهم فلم يمنعنى من ذلك إلا مخافة أن يعذو على ختنى سليمان بن أسود .

قال: وأخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم عن يحيى بن زكرياء وكان من كبار أصحاب محمد بن وضاح قال: حضر سليمان بن أسود صنيعا عند بعض الوزراء فى يوم جمعة فسأله الوزير أن يطعم وحده فاعتذر إليه بأنه صائم فدعا له بغالية ليغلفه بها فأبى من ذلك وقال: إن هـذا يوم جمعة ولا بد من الاغتسال فيه فيصير هذا الطيب إلى الذهاب والتلف فتوقف الوزير عما كان أمر به من ذلك فلما خرج سليمان بن أسود من عنده قال لبعض إخوانه كرهت والله أن أكون خطيب المسلمين اليـوم وواعظهم وعلى طيب فيه ما فيه .

قال محمد : أخبرنى غير واحد من أهل العلم قال كان سليمان بن أسود فيه ذكرة وصلابة وتحامل على حاشية السلطان وقلة مداراة لمن لاث بالخليفة من وجوه رجاله وأكابره وزرائه قال لى بعض رواة الأخبار قال هاشم بن عبد العزيز : كتب القاضى سليمان بن أسود إلى الأمير كتابا عرض فيه على السيف ، وعزله أمية بن عيسى عن المدينة

وحبس بن أبى أيوب القرشى فى الحبس ، وكان المعنى فى ذلك الكتاب أنه قال للأمير فيا خاطبه فيه: إن ابن أبى أيوب خرج نهارا بالسيف مشتهرا فجرح به رجلا وأخاف آخرين وقد كانت لفعلته هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة فلم يقمعه عن شره ولا أخذ فيه على يده ومن قبل ذلك ما كتبت إليه فى عبيد الله بن عبد العزيز إذ ظهرت دعارته وشره فتهاون بذلك حتى أحدث ما أحدث واضطر فيه الأمير إلى ما اضطر فذكر الأمير رحمه الله بقصة أخى هاشم وفيها من الفضاضة والتوبيخ لهاشم ما فيها ، وشهد بالتقصير على أمية صاحب المدينة، وحكى فعل بن أبى أيوب القرشى فأمر الأمير بحبسه .

قال محمد: ذكر لى أن هاشم بن عبد العزيز كايد سليمان بن أسود ورام خديعته فى تركة قومس بن أنتنيان فلم ينفذ له عليه من ذلك ما أحب . وذلك أن هاشم بن عبد العزيز كان محله من الأمير رحمه الله محلا لطيفا فكان الناهض بأعباء الخلافة والمتصرف فى وجوه النظر والمستولى على أسباب التدبير ، لا ينفذ العقود إلا به، ولا يحكم الأمير إلا على يده، وكان لايجد معاوضا ولا يعرف لنفسه ملاحيا فلما نجم قومس بن أنتنيان وظهر فضل أدبه وتولى الكتابة واضطلع بالأثقال وخاطب، ونبه ،وعارض فى الأمور ودسس بالرفع ولم يرض أن يكون تابعا لغيره ولا مستحذيا لسواه . اشتغل به قلب هاشم ، ولبس عليه مكانته ورد فكره إلى ضره ومطالبته ، فلما أحس بذلك قومس استشعر الحذر وتخلق بالحزم فبلغ من حذره وحزمه أن محمد بن يوسف ابن مطروح كان له صديقا وبه خاصا فطرقه ليلا فخرج إليه قومس فخاطبه من وراء الباب فقال له : إفتح فقال لست بالله أفعل. ولكن قل حاجتك فقال له محمد بن يوسف ، إنها من الحوائج التى لا تقال من وراء الباب قال له قومس فأخرها إلى الصباح فانصرف عنه مغموما إذ أقامه ذلك المقام فلم ينم محمد

ابن يوسف باقى ليلته فلما صلى الصبح غدا إليه فأعظمه قومس وأكرمه وبجله فقال له محمد بن يوسف الآن: تكرمنى وإذ أتيتك البارحة لم ترنى أهلا أن تفتح بابك فقال له: أعذرنى فإنى رجل مطلوب وأنت تعرف من يطلبنى وقد أخذت نفسى من الحزم بما رأيت ورأيت أن أجعل تحفظى منك حجة فى التحفظ ممن هو دونك فلا تلمنى فذكر له حاجته، فلما مات قومس بن انتنيان طالب هاشم ورثته وتركته وأثار الشهادات من كل جانب، وأقام محتسبا تقدم إلى القاضى سليمان بن أسود فقال له: إن قومس بن انتنيان مات على النصرانية فماله لبيت المال، ورفع هاشم أيضا بذلك إلى الأمير وقال له: أنت أحق بماله من ورثته، ولكن تأمر القاضى بالنظر فى ذلك فأمر الأمير محمد رحمه الله سليمان بن أسود بالنظر فيه فوقعت عند سليمان شهادات عظيمة كثيرة من وجوه الناس وأعلام العدول أن قومساً مات على النصرانية ولم يتخلف عن الشهادة بذلك من بياض الناس وفقهائهم

إلا الأخص الأقل، منهم محمد بن يوسف بن مطروح، فإنه كان إذا قعد فى الجامع قال على رءوس الناس من مثل قومس السجاد العباد حمامة هذا المسجد يقال فيه مات على النصرانية؟! ثم ترجع، وتعجب الناس ممن شهد عليه بذلك واتصل ذلك كله بالأمير محمد رحمه الله فأوصى إلى الوزراء أن يبعثوا فى القاضى سليمان بن أسود ويسألوه عما ثبت عنده على قومس بن انتنيان فحضر سليمان ابن أسود فقال له الوزراء إن الأمير أبقاه الله أمر بالإرسال فيك وأن يكشفك عما قيم به عندك من أمر قومس فأخرج سليمان طومارا من كمه ثم قال هذا ماشهد به عندى فى أمره ولكن يرسل إلى الأمير فيتصفحه ثم يأمر فيه بما يراه فأراد هاشم أن يعترضه فقال له يا قاضى: الطومار كبير والشهادات كثيرة وليس كل الناس يعرفهم الأمير ولكن اقصد إلى أسماء الشهود الذين قلتهم فاذكرهم واذكر شهاداتهم ففطن سليمان لمذهبه فقال له: لست أفعل ولابد أن يرى الأمير الشهادات على وجوهها

فأرسل بالطومار بجميع مافيه فلم يكن إلا قليل حتى خرج الفتى من عند الأمير فقال للقاضي: يقول لك الأمير دعني من الشهادات وطولها وأخبرني بما ثبت عندك منها فقال للفتى قل للأمير أبقاه الله لم يثبت عندي على قومس شيء من المكروه وجميع الشهادات الواقعة فيه معلومة لم يرد الله بشيء منها فقال له هاشم: سبحان الله يا قاضي شهد عندك ابن قلزم وفلان وفلان! فقال: الذي صح عندي قد أعلمت به الأمير فخرج التوقيع إلى القاضي إقسم: مال قومس بين ورثته فقسمه القاضي وكان مالا عظيما .

قال محمد: ذكر خالد بن سعد قال أخبرني محمد بن قاسم قال أخبرني عمّ محمد ابن بزيع القيم قال: حضرت عند سليمان ابن أسود وقد أتاه رجل فتظلم عنده من صاحب المدينة فأمر سليمان شيخا بين يديه من أعوانه وذلك بالعشي فقال: تغدو فتكون في طريق صاحب المدينة عند موضع جلوس الخزان فإذا أقبل للنزول فخذ بعنانه وتأمره عني أن يرتفع إليّ فإنه تظلم منه عندي فإن رجع طوعا وإلا فاحمل العصا على دابته حتى تردها إلى كرها قال: عم ابن بزيع: فغدوت مع الشيخ المأمور فوقفت معه في طريق صاحب المدينة حتى أتى ومعه جمل من الناس قد ركبوا معه فأخذ الرسول بعنانه فذهب صاحب المدينة أن يأمر بزجره فقال له الرسول: القاضي أرسلني فيك بسبب رجل تظلم عنده منك فارتفع إليه إن شئت طوعا وإن شئت كرها فقال صاحب المدينة: بل طوعا فانصرف حتى أتى القاضي ونزل عليه ونظر إليه فيما بينه وبين الرجل المدعي عليه بالحق فقضى بينهما بالذي ظهر له ثم انصرف عنه .

قال: أخبرني محمد بن عمر بن عبد العزيز قال: لما عزل يوسف بن بسيل عن شذونة قام عليه بعض أهلها في مال ادعاه في يديه فبعث فيه بطابع، فلما وقف إليه بطابع القاضي زجره وأمر بضربه فجمع سليمان الأعوان ثم بعثهم في يوسف فترصدوه

فلما خرج أتوا به على عنف فلما صار إليه وقفه موقف الحق بالإقرار والإنكار فأبى من الإجابة إلى ذلك فأمر بامتهانه فلما رأى العزيمة من القاضى تكلم .

قال خالد بن سعد : وأخبرنى ثقة من أصحابنا عن رجل فاضل قديم كان اسمه أحمد بن خالد ، وكان قد أدرك القاضى سليمان بن أسود ، أن رجلا طالب رجلا عند سليمان بن أسود وهو عبد الملك ابن العباس القرشى ، فوقفه سليمان موقف الإقرار والإنكار فأبى من ذلك فعزم القاضى على امتهانه،فقام الناس إلى عبد الملك من كل جانب وقالوا:اتق الله على نفسك وشرفك وَصُن عرضك فإنك إن لم تفعل نفذ فيك ما أمر به فكانت سبة عليك وعلى عقبك فلما رأى ذلك قال اشتريت قال له القاضى أثبت عندى أنك اشتريت .

قال محمد « وهذا قول بعض أهل الفتيا فى العمال المعروفين بالغصب والتعدى : قال محمد :أخبرنى من أثق به من أهل العلم قال: سمعت الوزير أبا مروان عبدالملك بن جهور يحكى قال :كان الفقيه ابن الملون يعنى بأسباب الوثائق، وكان حسن الفطنة فيها، ولطيف الحيلة فى أبوابها وشنع عليه باب الفجور والتدليس فيما يعقد منها فطلبه سليمان بن أسود فخافه ابن ملون على نفسه فتوارى عنه وقصد الوزير محمد بن جهور ، فكنفه وآواه قال :ثم أرسل الوزير محمد بن جهور أخاه إلى القاضى يسأله فيه ، ويذكر له ما انعقد بينه وبين ابن الملون من الأذمة الموجبة للطلب إلى القاضى فكان جواب القاضى أن قال لابد من تنفيذ الحق عليه فيما بلغنى عنه وقد بلغنى أنه فى دار الوزير مختف منى ولم يصح ذلك عندى، فمتى صح أرسلت من يدخل داره ونخرجه منها ، قال: فشغل بنفسه وكان لا يطمئن أن يدعه فى داره حتى ينقل عنها إلى بعض مواضعه الخارجة عن الدار .

قال محمد: قال لى ابن عمر بن عبد العزيز أخبرنى شيخ من أهل أشبيلية يسمى هاشم ابن رزين قال: كنت يوما فى مركب محمد

ابن موسى الوزير وهو يومئذ أعظم وزراء الأمير محمد وأقربهم محلا منه، فلما حاذى الجامع خرج إليه ابن عمه زوج ابنته فقال له: القاضى جالس فى المسجد وهذا طابعه وهو يأمرك بالنزول إليه فقال: سمعا وطاعة وثنى رجله ونزل، فلما توسط باب المسجد بدر إليه من حضر من القومة فقال لهم: تفقدوا لى أحد الخصوم، واستقبل القبلة فركع ركعتين فلما سلم وجد القومة قد أحضروه برجل من الخصوم فقال: أنا أشهدكم أنى قد وكلته على مناظرة ابن عمى. فلج ابن عمه فى تقديمه إلى القاضى وأن يوقفه موقف الإقرار والإنكار فوبخه الناس وقالوا : قد أنصفك إذ وكل من يناظرك فانكسر وخرج الوزير فركب .

قال محمد: ذكر خالد بن سعد قال: كان محمد ابن عمر بن لبابة يحدث قال : كنت جالسا عند القاضى سليمان بن أسود فجاءه رجل يخاصم ختنه زوج ابنته وكانت الابنة فى ولاية الأب، وكان الزوج ساكنا معها فى دارها فطلب الأب من الزوج أن يرحل الابنة من دارها وأن يكريها لها فتنتفع بكرائها فقال سليمان بن أسود للزوج ألك دار؟ فقال لا :وصدقه أبو الجارية فقال القاضى لأبى الجارية ولا كرامة لك أن تخرج ابنتك من دارها إلى دار مع زوجها فتمشى بفراشها إلى عنقها من دار إلى دار فتهتك سترها . ليس هذا من حسن النظر لها فكان ابن لبابة يعجبه ذلك من قضاء سليمان. قال: وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول أحضرت سليمان بن أسود يقضى بها على الاستحسان لها من قضاء سليمان .

ومن ذلك أن احمد بن أبى خالد أخبرنى أنه سمع محمد بن عمر بن لبابة يقول: حضرت وقد خاصم إليه رجل فى فرن بناه صاحبه فأضر الدخان به وبالجيران وهذه المسألة يقول ابن قاسم إن ذلك الضرر الذى يجب قطعة ولا يباح اتخاذه فقضى سليمان ابن أسود بغير ذلك أن يجعل أنبوبا فى أعلى الفرن فيخرج الدخان من أعلاه فلا يضر ذلك بمن جاوره فكان محمد بن عمر يفتى بهذا ويحمل الناس عليه فيما أخبرنى أحمد بن خالد

قال محمد أحسب سليمان بن أسود رأى تلك الصنعة أو بلغته عن أفران المشرق فإنها مصنوعة على تلك الشاكلة التى ذكر فاستحسن ذلك فأمر بامتثاله بالأندلس .

قال خالد بن سعد وأخبرنى بعض مشايخنا من أهل العلم أن القاضى سليمان بن أسود أرسل فى عبد الله بن خالد ليشهده فى كتب الأمير رحمه الله فأبى ابن خالد أن يقومْ إلى القاضى فكتب سليمان ابن أسود إلى الأمير رحمه الله يكثر على عبد الله بن خالد ويصف تثاقله وكتب عبد الله بن خالد إلى الأمير محمد فى سبب القاضى سليمان فوقع الأمير فى بطاقة سليمان بن أسود: نحن أحق من عظم العلم وأهله فإذا أردت أن يشهد فى كتبنا فأجلس إلى الفقيه عبد الله ابن خالد قال محمد : وذكر لى غير واحد من أهل العلم أن سليمان بن أسود كانت فيه دعابة تليق به وتحسن منه وحكوا عنه فى ذلك حكاية حفظت عنه فى مجلس حكمه وذلك أنه كان فى وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار كان يختلف إلى مجلس القاضى ويلتزمه ولا يقوم عنه إلا بقيامه وكانت لابن عمار بغلة هزيله : تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد أنضاها الجهد وغيرها الجوع فتقدمت امرأة إلى القاضى فقالت له بالعجمية يا قاضى : أُنظر لشقيقتك هذه فقال لها بالعجمية لست أنت شقيقتى إنما شقيقتى بغلة ابن عمار التى تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار . قال محمد قال محمد بن عبد الملك بن أيمن: كان بعض فقهاء البلد وهو فلان بن فلان وذكر رجلا عظيم القدر ، قد أخذ من رجل هدية على حسن المعونة جبة خضراء فشعر لذلك خصم المهدى فأعلم سليمان بالقصة وجعل الشيخ الفقيه بصحة المذهب وسلامة الضمير يلبسها فى المحافل فقال سليمان لخصم الرجل صاحب الجبة إذا رأيت الشيخ وعليه الجبة وافى عليك فقل يا قاضى: ليس الشيخ يكلمك إنما تكلمك الجبة التى عليه فإنك إذا فعلت ذلك خرجتُ عليك وأمرتُ بسجنك فلا يلهينك ذلك عن قولك : ففعل

الخصم ما أمره به القاضى فاستحيا الشيخ وانقلب خجلا . قال لى أحمد بن عبادة الرعينى : أخبرنى من سمع سليمان بن أسود القاضى،وهو يقول لمؤذنى الجامع :إذا حضر وقت الصلاةفلا تؤخروها عن وقتها ، وان أحسستم أنى نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظرونى ، وأقيموا الصلاة وصلوا .

قال محمد:ثم عزل الأمير محمد بن عبدالرحمن قاضيهسليمان بن أسود عن القضاء ،وأعاد عمرو ابن عبد الله .

قال محمد:قال لى أحمد بن عبادة ، قال لى أبو صالح أيوب بن سليمان:أول من شاورنى من القضاة سليمان بن أسود .

قال محمد : واختلف فى عزلة سليمان بن أسود الأولى كيف دارت؟ ولأى شىء كانت؟فأما خالد بن سعد ، فذكر أن عبدالله ابن يونس أخبره : أن الأمير رحمه الله ، أمر بعض الوزراء بالإرسال فى القاضى سليمان بن أسود ، وأن يتكلم معه فى دار كانت ليتيم كان فى نظر القضاة ، أحبها الأمير لبعض، ولده فأرسل الوزير من نظر إلى الدار وقومها ، ثم بعث فى سليمان بن أسود ، وأعلمه بما أحب الأمير من شراء تلك الدار بما قومها المقومون ، فقال له سليمان: لست أبيع نقضها بهذ الثمن فكيف الدار جميعا ؟ وسأل القاضى لليتيم أضعاف تلك القيمة ، فأنهى ذلك الوزير إلى الأمير ، فأمر الأمير رحمه الله بالكف عن شراء تلك الدار وكان ذلك الوزير يشنأ سليمان «ويكدم» عليه عند الأمير من قبل ، فلا يضره بكبير شىء ، فلما امتنع من بيع الدار ، أمكنته الفرصة ، فجعل يذكر للأمير بغضته ، ويذكره بما كان يصفه له ، فلم يزل بذلك حتى ثقل على نفس الأمير فأمر بعزله .

وحكى أحمد بن عبد الملك قال : لم يزل سليمان قاضيا فى الدولة الأولى ، إلى أن خرج الأمير غازيا سنة ستين ، فخرج القرشى عمرو بن عيص مشيعا له ، وشاكيا سليمان بن أسود فى كل محلة ، حتى انتهى قلعة رباح ، فكتب الأمير محمد رحمه الله إلى أمية بن عيسى — صاحب المدينة —

يومئذ يأمره بعزل سليمان عن القضاء، وأن يبعث إليه أربعة من عدول قرطبة يقبضون الديوان منه، ثم يجعله في بيت الوزراء، ففعل ذلك أمية بن عيسى، فلما قدم الأمير رحمه الله صرف عمرو بن عبد الله إلى القضاء.

ذكر القاضي عمرو بن عبد الله للمرة الثانية وكان ذلك فى سنة ستين ومائتين

قال محمد: ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن فيما حكى ابنه عنه، أنه لما عزل سليمان بن أسود خاض الناس فيمن يلي بعده قال: فأخبرنى من سمع عمرو بن عبد الله يقول فى تلك الفترة، وهو قاعد على باب داره: القضاء. القضاء. قل لمن شاء الله يليه، والله لا أفلح فيه. قال: ثم ولاه الأمير محمد رضى الله عنه القضاء فأخبرنى بعض أهل العلم قال: لما ولى عمرو بن عبد الله المرة الثانية، استخرج إلى سليمان بن أسود، وتعقب عليه بعض أقضيته ونظر عليه نظراً وقفه به موقف الضيق، فنصح عمروا فى ذلك بعض إخوانه، ونهاه عن الاستفساد مع سليمان، فأبى، وتمادى عليه، ثم انقضت تلك الأمور. وخلص سليمان من مضايقة عمرو بن عبد الله.

وأخبرنى من أثق به من أهل العلم قال: لما ولى عمرو المرة الثانية، تنكرت أحواله وتغيرت سيرته، وكان السبب فى ذلك أن كبر بنوه، وغلب عليه ولده، المكنى بأبى عمرو، فمشت إليه التحف، ودخلت عليه الهدايا.

حكى لى بعض رواة الأخبار قال: جلس أبو عمرو — ولد القاضى عمرو بن عبد الله — يوما فى مجلس أبيه فى حفل من الناس فقال لبعض أهل السوق ممن كان فى المجلس: أحببت أن أشترى «لزمة» مخبية حسنة لفرس اكتسبته فانظر لى فيها. قال: فما أمسى الليل من ذلك النهار، إلا وفى بيته سبع عشرة لزمة هدايا كلها، وكثرت القالة فى ولده أبى عمرو، ونسب إليه تدليس فى الديوان فى مال مستودع، سنذكره مفسراً إن شاء الله على ما ذكره، الواصف له. وقال فى ذلك

الوقت مؤمن بن سعيد الشاعر :

لَعمري لَقد أَزرَى بِعمرٍو أبو عمـرٍو
ومثلُ أَبي عمرٍو بوالدهِ يُزْرى
وَقَدْ كانَ عمرُو يُستَضاء بنُورِهِ
فأضْحَى أبو عَمْرٍو كُسوفاً على البَدْرِ
وما عُرِفَت من عَمْرُو الندب سوءةٌ
سَواهَا وهَل تنجُو العِتَاقُ من العثْر

قال محمد : واختلف الناس فى السبب الذى عزل به عمرو المرة الثانية فقيل لى :

إن هذه الثلاثة الأبيات ، التى قالها مؤمن ، لما سمعها الأمير رحمه الله قال : قد أكثر الناس فى عمرو، وفى ولده ، فعزله حينئذ .

وقيل : إن هاشماً كان يستثقله ، بسبب ما تقدم له من التحامل على بقى بن مخلد ، فسعى فى عزله .

وذكر أحمد بن عبد الملك : أن عمروا كان قاضياً فى المرة الثانية ، من سنة ستين إلى أن غزا وليد بن هاشم فى سنة ثلاث وستين ، إلى أرض الحرب — الغزاة التى تعرف بغزاة البربر — فغزا القاضى عمرو تلك الغزاة، فلما قدم لم يؤمر بالنظر، وكان الرسم حينئذ إذا غزا القاضى ثم قدم ، لم ينظر حتى يعهد إليه بالنظر ، فأقام الناس يومئذ نحواً من ستة أشهر ،لا قاضى لهم ، ثم أعاد الأمير رحمه الله سليمان بن أسود إلى القضاء ثانية ، وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائتين .

ذكر القاضى سليمان بن أسود المرة الثانية وكانت ولايته هذه فى سنة ثلاث وستين ومائتين

قال محمد : ثم ولى سليمان بن أسود المرة الثانية ، فتعقب على عمرو بن عبد الله وكافأه بمثل ما فعل به عمرو من قبل،وتصفح الديوان فأصاب فيه ذكر مال عظيم ، نحو عشرة آلاف دينار، وكان ثلثاً أوصى بتفرقته رجل من التجار ، يعرف بابن القصيبى،وكان موقوفا على يدى بعض العدول ، فأرسل سليمان فى الرجل العدل ، الموقوف على يديه المال ،فقال له : أحضرنى المال.فقال له الرجل العدل : كان المال على يدى وقتاً طويلا ، ثم قبضه منى القاضى عمرو بن عبد الله

إذ كان قاضياً ، وأبرأني منه فقال له سليمان: أقم البينة على ما تقول . فأتاه بصحيفة فيها براءة من عمرو بن عبد الله – إذ كان قاضياً – للرجل من المال ، وأقام عليه ستة عشر شاهداً من الناس . فكشف عمرو بن عبد الله عن ذلك ، فأنكر القبض ، وكذب الشهود ، وزعم أنها حيلة احتيلت فيه ، ودائرة أديرت عليه ، ووقف سليمان على الحكم عليه بالمال ، فاستعاذ عمرو بالأمير محمد رحمه الله ورفع إليه في ذلك متنصِّلا مما قذف به ، فحكى لي بعض أهل العلم قال: أخبرني رجل كان خاصاً بعمرو بن عبد الله : قال : إني لقاعد مع عمرو حين أتاه من لدن الأمير محمد فتى من أصحاب الرسائل ، فسأله أن يدخل معه في بيته ، فقام معه عمرو وأدخله إلى بيته ، فأقام معه ساعة ، ثم خرج الفتى عن عمرو . فلما خرج استأذنت على عمرو فأذن لي ، فدخلت عليه ، فوجدته واجما مطرقا ، فقلت له ما الذي أتاك به الفتى ؟ قال : فسكت عني ساعة ثم أنشأ يقول :

نُضْحِي على وَجَلٍ نمسي على وجل
كل التراب ولا تعمل لهم عملا

ثم قال أتاني الفتى بمصحف في كمه ، وأمرني أن أحلف أني بريء من المال ، فحلفت ، قال: فأبرأه الأمير محمد رحمه الله من أمره ، وأمر أن يغرم ورثة القصيبي ثلثاً ثانياً مما في أيديهم من المال فغرموه بعد أن كانوا أنفقوه فقيل لي : إنه كان سبب فقرهم . قال محمد : وذكر أحمد بن محمد بن عبد الملك أنه كان في الديوان مال عظيم ، مُوقف عند بعض العدول ، فمات ذلك العدل ، فعامل أولاده أبا عمرو – ولد عمرو بن عبد الله ، على أن يقسموا ذلك المال ، ويأخذ أبو عمرو أكثره ، على أن يقتلعه من الديوان ، وكان الديوان يومئذ لا شهود عليه ، إنما كان ذكره في دفتر مطلق ، فاقتسموا المال ، وغفل أبو عمرو عن قلعه حتى عزل عمرو ، فوجده سليمان في الديوان مذكوراً ، فدارت بين القاضيين سليمان وعمرو أحوال شنيعة ، ثم آل الحال في ذلك إلى أن شاور الأمير رحمه الله الفقهاء ، فأشاروا بتحليف عمرو . غير بَقِيّ بن مخلد فإنه قال: إن اتصل ببني العباس أنّا نُحلِّف قضاتنا كان ذلك من أعظم ما نعاب به عندهم . فاستحسن الأمير قول بقي بن مخلد ، وأوصى إلى عمرو

أن يكتب إليه بيمينه فى السر ففعل . قال : وكان مما يحتج به عمرو على سليمان عند اجتماعهما بمحضر الوزراء أن يقول : لو دلست فى هذا المال لما أبقيت ذكره فى الديوان . فكان سليمان يقول : بخذلان الله تركته .

وكان عمرو فيما يقول أهل العلم والمعرفة فى الزمان، مبرءاً من ذلك، منزها ، سيما أنه لم يزل الغم يسرى فى قلبه ويعمل فى نفسه حتى أخذه ذهول أخرجه عن حده ، حتى أنه لقد كان يخرج إلى الزقاق حاسراً ، بعد تلك المروءة الكاملة ، والنزاهة العظيمة .

قال خالد بن سعد : حدثنى أبو العباس وليد بن إبراهيم بن لبيب قال : أتيت عمرو بن عبد الله وقد عزل عن القضاء ، وكان الذى سعى فى عزله هاشم بن عبد العزيز ، من أجل بقى بن مخلد ، إذ كانت الشهادات على بقى عنده ، وكانت له شهوة فى إنفاذ ما شهد به على بقىّ ، فلما عزل وَلَّد عليه هاشم أشياء غمته فخولط فى عقله من أجل ذلك . قال وليد : قال لى عمرو بن عبد الله قبل استحكام ذلك الذهول فيه : يا بنى ما يُتمنى منه الموت ، أشد من الموت ، ولوددت أنى قَدْ متُّ . قال خالد بن سعد : سمعت أسلم ابن عبد العزيز وقد نزل من القصر بالعشى فأتاه بقىّ بن مخلد ، فخرج عليه هاشم وعنَّفه وقال له : مه والله ما كانت بينى وبين عمرو حالة موجبة لعداوة ، ولا سعيت فى عزله، عند الأمير، إلا من سببك ولما أراه أن يفعل بك، فعلت ذلك لله عز وجل فأتيت أنت اليوم فأفتيت فى أمره بفتيا ، هدمت علينا ما كنا بنينا فى أمره ، وخالفت جميع أصحابك من الفقهاء .

قال أسلم : وكان هاشم قد أرسل فى الفقهاء قبل ذلك واستفتاهم فى مسألته، وأوجبوا فيها اليمين ، على عمرو بن عبد الله فى مقطع الحق، من أجل مال يتيم كان قد أودعه عند بعض من أودعه وقال : لست أحفظ عند من أودعته ؟ فأفتى أهل العلم أن يحلف فى ذلك ، ولم يرسل أخى هاشم فى بقى ابن مخلد من أجل ثقته به ، وظن أنه لا يخالف

أصحابه فى الفتوى لا سيا أن الحانجة كانت لبقىّ ، إذ كان عمرو بن عبد الله عدوه ، فاجتمع الفقهاء فى بيت الوزراء فأفتوا باليمين، وأتى بقى بن مخلد فى آخرهم فقال : لا يمين عليه ، لأن القضاة أمرهم على السلامة حتى يثبت عليهم غير ذلك، والأمير إذ قدمه إنما قدمه وهو عنده من أهل العدل. فلما رفعت الآراء إلى الأمير محمد أمر أن يؤخذ فى أمر عمرو بفتيا بقى بن مخلد .

فلما عدد أخى على بقىّ فعله ذلك بحضرتى قال له: أصلحك الله ، كنت ترضى لشيخ مثلى أن يفتى على عدوه بغير ما يعتقده من الحق ، والله ما أفتيته فى أمره إلا بما اعتقدت أنه الحق ، فلا تلمنى .

قال أسلم : ومكث أخى هاشم بعد ذلك عاتباً على بقى بن مخلد نحو الشهرين ثم أسقط معاتبته فى ذلك. قال محمد: ثم استمر سليمان بن أسود على القضاء ، بعد عمرو بن عبد الله فى المرة الثانية حتى أخذت منه السن وظهر فيه الهدم ، فرفعت بطاقة إلى الأمير محمد رحمه الله على لسان عمرو بن عبد الله يقال فيها : إن سليمان بن أسود كبرت سنه ، وضعف بدنه ولا طاقة له على القضاء فأمر الأمير رحمه الله الوزراء أن يبعثوا فى سليمان ، وعمرو ، ويسأل عمرو عن البطاقة إن كان هذا رافعها؟ ويسأل سليمان عما يجد فى بدنه من القوة على القضاء، فأحضر الوزراء إلى أنفسهم الرجلين فجلسا، وكان عمرو بن عبد الله وقوراً ساكناً متثاقلا، وكان سليمان فى ضد هذه الصفة كانت به هشاشة، وحركة، وخفة بدن ، فأخرج الوزراء البطاقة ثم قرئت على عمرو وقيل له : أنت رافعها إلى الأمير فقال : أعوذ بالله ، لا والله ما كتبتها فقال له سليمان : إن كنت لم تكتبها أبا عبد الله فقد أمليتها فقال : لا والله، ولا أمليتها، ولا علمت بها ، فقال له سليمان : إن كنت صادقاً فى نفسك فصاحب البطاقة ولدك أبو عمرو، واستطال عليه سليمان فى اللفظ، فأطرق عمرو بن عبد الله، واستعمل الحلم ، والأخذ بالفضل ، فقال له سليمان : وتتغافل ، أيضاً ، وتتحلم كأنا لا نعرفك؟ فقال عمرو : حسبنا الله، حسبنا الله، ثم وضع يديه جميعاً فى الأرض ليقوم ، فوثب سليمان إلى عمرو بخفة بدنه ، وهشاشته فمد يده إليه ثم

قال له : هات يدك أبا عبد الله لنقيمك فنظر إليه عمرو، ثم رجع واستوى جالساً وقال : الله المستعان ، الله المستعان ، الله المستعان ثم افترقا .

قال محمد: قال لى أبو عبد الله محمد ابن عبد الملك بن أيمن : مرض سليمان ابن أسود مرضه أشفى فيها على الموت، وكان حينئذ صاحب الصلاة، وكان إبراهيم بن قلزم مترشحاً للصلاة ، وكانت له ناحية من هاشم فأتاه يوم خميس فقال له : قد تعلم ما فيه سليمان ، وغداً الجمعة، فكتب هاشم إلى سليمان ابن أسود يسأله إن كان به نهضة للصلاة بالناس ، وإلا فيعلم بذلك لينظر فيمن يقوم بالخطبة والصلاة، فكتب سليمان إلى هاشم: أنا متخفف،وبى أكثر من نهضة، فلما كان من الغد تحامل ، وأتى يتهادى بين اثنين حتى خطب بكلمات مختصرة . قال محمد : وسمعت بعض رواة الأخبار يحكى عن سليمان وابن قلزم فى الصلاة حكاية مستطرفة قال : كان سليمان بن أسود يعلم شدة شهوة ابن قلزم فى الصلاة ، وترشحه لها فلم يشعر سليمان يوماً من أيام الجمعة فى ضحى النهار حتى استأذن عليه ابن قلزم للدخول عليه ،فحضرت لسليمان فيه حيلة فقال لغلامه : أخرج إليه وأنت تبكى، وقل له مولاى فى الموت ، ثم أدخله على من بعد، ثم اضطجع سليمان وسجى على نفسه ، وجعل يسوق النفس كما يفعل من احتضر ، فدخل ابن قلزم فتوجع واستعبر ، ثم خرج من فوره ذلك إلى هاشم وقال : سليمان يحشرج الموت،وما أظنه يبلغ وقت الجمعة حتى يموت ، فتدارك بالكتاب إلى الأمير أبقاه الله،فإن المقام فى ضيق الوقت صعب ، فقال له هاشم : أنت رأيته بهذه الحال ؟ فقال : نعم هذا خروجى من عنده إليك، فقال هاشم: ما بعدهذا شىء،ثم وضع يده فكتب إلى الأمير يخبره أن ابن قلزم أتاه وحكى له أنه دخل على القاضى سليمان وهو يحشرج وقد ضاق الوقت فلينظر الأمير أبقاه الله فى ذلك ، ففكر الأمير رحمه الله ساعة ، وكان من الكمال بحيث ما عرفت

الخاصة والعامة فوقف على أن ابن قلزم كان يشتهى الصلاة ، ولم يسمع لسليمان قبل تلك الساعة بعلة ولا مرض، فأدرك بنظره مالم يدرك هاشم ،وعلم أن فى الخبر دخلا، فقال لفتى من وجوه فتيانه: اذهب الساعة وادخل على القاضى وانظر حالته وما هو عليه، فإن وجدته يتكلم ويبين عن نفسه فاسأله إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم، فأتى الفتى فدخل على سليمان فوجده جالسا جلوس الصحة، فذكر له الأمر وأعلمه ببعض الخبر، فقام سليمان من مقعده ذلك فى حضرة الفتى وجلس على كرسى، وأمر أن يؤتى بالماء يتوضأ فتوضأ، ولبس ثيابه وخرج مع الفتى راجلا إلى الجامع ، ورجع الفتى إلى الأمير ، فأعلمه بالقصة على وجهها ، فقال له الأمير رحمه الله : لقد طيب سليمان فى ابن قلزم ولعب به كيف شاء ثم ضحك على ذلك ضحكا عظيما .

قال محمد : وكان سليمان قويا جلدا ، حديد النفس مع كبرة السن، وكان يروح إلى الجامع راجلا من داره .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : أخبرنى بكر بن حماد القسام ، وكان جارا لسليمان قال : خطرت عليه آخر جمعة عاشها فحركته للرواح فخرج معى إلى الجامع ماشيا ثم انصرفنا ، وذلك فى دولة الأمير عبد الله رحمه الله والقاضى حينئذ النضر بن سلمة .

قال محمد : وأقام سليمان فى قضائه الثانى عشرة أعوام من سنة ثلاث وستين إلى سنة ثلاث وسبعين، وتوفى فى ذلك العام الأمير محمد رضوان الله عليه ورحمته ، وكان الناس يذكرون موت الأمير من غير أن يصح ذلك عنه عندهم ،حتى خطب سليمان بن أسود، فلما بلغ ذكر الدعاء له خنقته العبرة فنعاه بذلك إلى الناس فأيقنوا بموته .

ثم ولى الأمير المنذر رحمه الله فأقر سليمان بن أسود على القضاء ، قال لى أبو محمد قاسم بن أصبغ البيانى : أقام سليمان بن أسود قاضيا فى خلافة المنذر نحو أربعين يوما ، ثم عزله المنذر ، وولى أبا معاوية :

قال محمد : وما أحسب أنه كانت لعزلة سليمان المرة الثانية عن القضاء علة غير كبر السن، وظهور الهدم.

قال بعض أهل العلم: كان سليمان بن أسود ، صنيعة للأمير عبد الله ، رحمه الله قبل ولايته ، فكان سليمان يستبطىء قيام دولته طمعا في العودة فلما ولِىَ، وأغفله ،جعل سليمان ينشد في بعض مداخله عليه مع جملة الفقهاء للاشهاد :

لَمَّا بَلغْنـا التى كُنَّا نؤمِّلها
صِرنا شهودًا كأنا مثلُ غُيَّاب

قال محمد : أخبرنى بعض أهل العلم قال : دخل ناس على سليمان بن أسود ، فى الشهر الذى مات فيه ، فسألوه عن عمره فسكت عنهم ساعة ، ثم دعا خادما له فأتته فأمرها أن تأتيه بزنفليجة كانت عنده ، فأتته بها ، فاستخرج منها صحيفة فرماها إلى القوم ، وقال : اقرءوا فقرأ القوم الصحيفة فإذا فيها كتاب من عند الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى قاضيه على جهة الجوف فحص البلوط وما يليه من تلك الجهات أسود بن سليمان يأمره فيه بقبض الصدقات عند وجوبها ، وتفريقها على وجوهها ، على ما فسره فى ذلك الكتاب وفى آخر الكتاب مكتوب بخط القاضى أسود بن سليمان : وُلد سليمان بن أسود أمتع الله به يوم كذا ، من شهر كذا ، فعد القوم من وقت المولد الذى ولد فيه إلى وقتهم الذى كانوا فيه ، تسعة وتسعين عاما وعشرة أشهر فقال لهم سليمان : إن عشت شهرين أتممت مائة عام فمات فى ذلك الشهر قبل أن يتم المائة عام .

ذكر القاضى عامر بن معاوية اللخمى

قال محمد : لما ولى المنذر الخلافة رحمه الله ، رأى الاستبدال بسليمان ، فاستشار الوزراء فأشاروا بزياد بن محمد بن زياد ، فعرض المنذر القضاء على بقى بن مخلد فلم يقبله ، فاستشاره فى زياد بن محمد بن زياد فقال له : نعم الحدث . فسأله أن يشير عليه ، فأشار عليه بأبى معاوية اللخمى ، وهو عامر بن معاوية بن عبد المسلم بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوذان

اللخمى فقبل المنذر رحمه الله منه ، وولاه قضاء الجماعة بقرطبة فقال :

حدثنا خالد بن سعد قال : سمعت عبد الله بين يونس يقول : كان الحبيب ابن زياد خاصة لبقىّ بن مخلد ، وكان رجا فى أيام الأمير المنذر رحمه الله ، أن يشير به لقضاء قرطبة فلما شاوره الأمير وأشار عليه بأبى معاوية، أتى الحبيب بن زياد إلى بقىّ بن مخلد فعاتبه فى ذلك فقال له بقىّ : لا تلمنى فيما فعلت فانى انما أشرت بمن هو عندى أفضل منك، فسكت عنه ، الحبيب بن زياد.

قال محمد : قال لى أبو عبد الله محمد بن عبد المالك بن أيمن : كان أبو معاومة اللخمى من بنى زياد وكان مسكنه برية ، وكانت له رحلة فى أيام عبد الرحمن بن الحكم رحمهما الله ، سمع فيها من سحنون بالقيروان ، ومن أصبغ بمصر ، ومن غيرهما، وكان من أهل الرواية لا بأس به ، وقد سمعت منة وكتبت عنه.

قال محمد : وعنه كانت تروى فى ذلك الزمان آداب القضاة من تأليف أصبغ، وذكر بعض أهل العلم: أن روايته اختلطت عليه فترك

قال محمد : وقال لى ابن أيمن : قدم أبو معاوية قرطبة فى آخر أيام الأمير المنذر حتى مات المنذر رحمه الله .

قال خالد بن سعد : أخبرنى أبو عمر صاحبه قال : أخبرنى أبو يحيى بن خميس أنه لما ولى عامر بن معاوية القضاء وقعد فى الجامع رأى سليمان بن أسود أتاه بالديوان فلما سلم قال : الحمد لله الذى جعل على أثرى مثلك فلما خرج من عنده سليمان ابن أسود ، تلقاه رجل من قريش ممن كان يخاصم عنده قبل أن يعزل ، فلبه بردائه وقال : الحمد لله الذى جلا الظلمة وأخذ الجور ، أجبنى إلى القاضى . فانصرف معه إلى عامر بن معاوية فقال له سليمان : إنى معزول وأنت وال وما فعلت فى اليوم ستكافأ غدا بمثله ، فخرج عامر بن معاوية على القرشى ودفعه عنه .

قال أحمد بن محمد بن عبد الملك: حكم أبو معاوية لأيدون الفتى بانفدان المعروف بفدان أجل بعدوة الوادى بعد خصومة

طويلة دارت فيه عند سليمان بن أسود ، كان متوليها محمد بن غالب بن الصفار ، فأبى سليمان الحكم فيها ، فقال يوما لابن الصفار : إن هذا الرجل قد ألح على أن أحكم له ، ولا أجد سببا إلى هذا ، إذ لم يتضح لى ما أحكم به . والله لا يأتينى من أمر أكرهه إلا أخرت به ، فضم ابن الصفار الفتى إلى الأمساك ، حتى عزل سليمان ، وولى أبو معاوية فقام عنده ، وكان يلزم مجالسه فإذا رآه أبو معاوية قال له : من أنت يرحمك الله ؟ فيقول له : أنا محمد بن غالب المعروف ، يسأله كل يوم بسلامة قلب كانت فى أبى معاوية ، فلم يزل محمد بن غالب مترددا عليه فى تلك الخصومة حتى قضى له بالفدان ، وأشهد له على القضية ، ثم صار الفدان بعد ذلك إلى محمد ابن غالب ، ولم يزل أبو معاوية قاضيا ، وصاحب الصلاة حتى مات المنذر رحمه الله.

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : سمعت القاضى أبا معاوية يخطب على الناس فى الاستسقاء بخطبة «أرميا» التى قام بها فى بنى إسرائيل وكانت فيه رقة تستميل القلوب وتبكى العيون .

قال خالد بن سعد . وكان أحمد بن خالد ، ومحمد بن سور ، يصفان أبا معاوية بالخير والفضل ، غير أن أحمد بن خالد كان يذكر عنه طرفة : ذكر أنه أتاه يسأله أن يسمعه سماع أصبغ بن الفرج وأن يجعل له فيه دولة ، فلما أتى إلى السماع أخرج إليه الشيخ كتب أصول العلم من تأليف أصبغ فظن أن الأصول والسماع شىء واحد .

ذكر القاضى النضر بن سلمة الكلابى

قال: محمد النضر بن سلمة بن وليد بن بكر محمد بن على بن عبيد الكلابى : كان أصله من قبرة ، وولى قضاء كورة شذونة ، والأمير عبد الله بن محمد رحمهما الله بها فأدخله وقربه من خاصته ، وكان النضر من أهل الذكاء والنبل واليقظة .

ولما ولى عبد الله بن محمد رحمهما الله الخلافة ولى النضر بن سلمة قضاء الجماعة والصلاة معا ، فأحسن السياسة ، وخالق الناس

بخلق حسن، وخطب فأبلغ فى الخطابة، وأمره الأمير رحمه الله بالتزام خطبة استحسنها منه وهى مشهورة فى الناس، فالتزمها طول ولايته الأولى، وكانت ولايته نحواً من عشرة أعوام حتى حفظت عنه، وصارت مسطرة لولاة القضاء يحتذون عليها فى أول مقاماتهم ومبتدأ ولايتهم، وكانت له خطبة أخرى فى الأعياد حسنة مهذبة، مشتملة على السنة .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد قال : كان النضر بن سلمة يتصرف للأمير رحمه الله فى كل الأسباب تصرفا كاملا .

أخبرنى من أثق به أن الأمير رحمه الله كان فى الساباط يوم جمعة منتظراً للصلاة، صلاة العصر، فورده كتاب حرك منه ساكنا فالتمس عبدالله بن محمد الزجالى ليكتب الجواب فألفى غائبا، فهم بالإرسال فيه فقال له النضر، وكان بحضرته : ما الأمر الذى حرك من الأمير أصلحه الله ما أرى؟ فأخبره الخبر ورمى إليه الكتاب فعرض عليه نفسه فى المجاوبة فأذن له الأمير رحمه الله، فجاوب وأحسن، وكتب فأبلغ، فأعجب الأمير رحمه الله بيقظته، وشكر له فضل منته .

قال محمد : وكان النضر عالما بعلل الوثائق، ومدركا بموضع الزلل منها، والأغلال فيها، يوقف الفقهاء على ذلك فيقرون له بالإصابة ويعترفون له بفضل الإدراك .

والنضر بن سلمة أول من شاور فى الأحكام محمد بن عبد الملك بن أيمن : قال محمد : قال لى أحمد بن عبادة الرعيني : كان النضر بن سلمة حسن المذهب، ظاهر الحلم، حضرته يوما فى مجلس قضائه، دخل عليه رجل فوقف بين يديه ثم قال له : يا قاضى ظلمتنى، وتحاملت علىّ حسبك الله قال : فسكت عنه حتى فرغ من كلامه ثم قال له النضر : أما لولا أن سبك لم يجاوزنا إلى غيرنا لأحسنت حسن الجواب .

وأعطى رجلا من الصدقة فأرضاه، فشكر له الرجل، فأخذ بركابه، وأعاد القول بمدحه فقال النضر « فإن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن

مسور يقول : سمعت القاضي يقول وهو النضر بن سلمة وقيل له : إن محمد بن اسباط يقع فيك ويتناولك وقال : يجب لك أن تهدمه فقال النضر : لا والله لا أتعرض لذلك ولا أهدم من بناه الله .

قال محمد : أخبرنى بعض الشيوخ قال : كان عندنا بقرطبة رجل يعرف بابن رحمون، وكان كثير النادر والتطنيب فندر فى مجلس النضر على خصم كان يخاصم عنده بنادر أضحك منه الحاضرين، فما زاد النضر على أن ضحك، ولم تكن له عليه صولة وذلك أن خصم ابن رحمون قال للنضر : إن خصمى هـذا إذا خرج من بين يديك لايقلع عن شتمى وذكر أمى فقال خصمه : ما أحب أن أعطيك شيئاً ولا آخذ منك شيئاً، فقال ابن رحمون للقاضى: يا قاضى أقبلوا منى على ما أفعل به وكذا وكذا من أمه فى المنادى فلا يرضى أن يفديه بأربعين درهما فضحك وضحك من حضر واحتملها له النضر .

قال محمد : وكان النضر بن سلمة متصرفا فى علـم الأدب ، وكان فيما بلغنى ربما قال من الشعر شيئاً يخاطب به الأمير ومن كاتبه من طبقة الخاصة وسمعت بعض رواة الأخبار يحكى قال : مات وزير من بنى شهيد وترك إبنا فرثاه رجل بشعر وأتى به النضر فعرضه عليه فسمع النضر شعرا سخيفاً بعيد المعانى فقال له : إن ابن المتوفى نبيل كيس فاذهب بهذا الشعر إليه فلعله أن يفطن ، إنك أردت أن ترثى أباه فيشكر لك بذلك .

قال محمد : وكان النضر قاضياً إلى أن أمره الأمير رحمه الله بالنظر فى المال الموقف بالجامع ،فنظر فى ذلك وجمع أهل العلم فاستشارهم، فاختلفوا عليه ، فأبى النضر أن يحكم بصرفه إلى بيت المال الا باجتماع أهل العلم، فكان فعله ذلك سبباً لكثرة القول فيه عند الأمير، فحرف معناه وصرف القول فى ذلك إلى أسوأ الوجوه فعزله الأمير رحمه الله حينئذ .

ذكر القاضى موسى بن محمد بن زياد الجذامى

قال محمد : ولما عزل الأمير رحمه الله نضرا عن القضاء استقضى بعده موسى بن محمد بن زياد ابن يزيد بن زياد بن كثير بن يزيد بن حبيب

الجذامي ، وهو من العرب الشاميين ، من جند فلسطين، وكان أصله بالأندلس، من كورة شذونه، ولاه الأمير رحمه الله الشرطة والرد ونقله إلى الشرطة العليا ثم ولى القضاء فصلى بالناس جمعة واستعفى فى الثانية .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن عمر بن لبابة يذكر موسى بن محمد فكان لا يستوفيه ولا يحسن الثناء عليه غير أنه كان يصفه بالحلم. ذكر أنه شهده وقد أرسل فى رجل فلما أتاه وكل به الأعوان وأمر ألا يفارقوه حتى يحضر بوثيقة كانت عنده فتوكل به الأعوان ومضوا معه ثم عادوا بالرجل والوثيقة معه فرمى بالوثيقة فضرب صدر القاضى موسى بن محمد وكانت الوثيقة كبيرة فأوجعه بها قال ابن لبابه : فلم أشك أنه سيؤدبه على ذلك فما زاد على أن قرأ الوثيقة وصرفها إلى الرجل وقال له : خذ وثيقتك ياجافى لم يزده على ذلك وهذه قصة محفوظة لموسى يحكيها الفقهاء عنه .

قال محمد : ولما صار موسى بن محمد إلى القضاء حكم فى المال الموقف بما بلغه إليه اختياره مما اختلف فيه أهل العلم من قبل ذلك على النضر بن سلمة .

قال محمد : وسمعت من يحكى من العلماء أن موسى بن زياد كان حسن السمت أديبا ظاهر المروءة بادى الوقار، إلا أنه كان جاهلا عييا . حكى أنه ذكر يوما محمد بن غالب بن الصفار ، فقام صام رمضان كله إلى يوم العرفة ثم يوم فأخطأ أخطأين بشيعين توهم أن فى رمضان يوم عرفه كما فى ذى الحجة وأدخل الألف واللام فى يوم عرفه : وسمعت من يحكى اسم مرة بالألف واسم أسماء بالهاء .

قال محمد : وتصرف موسى بن زياد للأمير رحمة الله فى خطط جمة منها : الكتابة والوزارة وغير ذلك ، واستأذن للحج ثم انصرف وتوفى الأمير رحمه الله وموسى بن زياد خامل ، وذلك أنه نظر فيما لا يعنيه وتكلم فيما لم يستشر فيه من مهمات الأمور وعظيمات الأشياء مما تنبنى به الخلافة وتقوم به الأمارة وأبطن من ذلك شيئا فأعقبه الله فى ذلك بشر عقبى وولاه من ذلك ما تولى .

ذكر محمد بن سلمة

قال محمد : ولما عزل الأمير رحمه الله موسى بن زياد عن القضاء . استقضى بعده محمد بن سلمة الكلابي وهو أخو النضر بن سلمة وكان رجلا صالحا فى مذهبه فاضلا فى دينه، شديد السلامة فى طبعه مع الزهادة والتنسك ، لم تحدث له ولاية القضاء تغيرا فى ملبس، ولا إكتسب المال ولا بلغت به الفائدة إلى اشتراء دار وإنما كان يسكن بكراء فى داخل المدينة بقرب الجامع ، ولم تكن له من الحركة فى الفهم ولا من اليقظة فى الأمور ما كان لأخيه النضر فى ذلك : وكان مع ذلك شديد السكينة ظاهر الصلابة راغباً فى إقامة السنة منترحا عن الناس ملتزما للبادية ، فكان ربما دار على الناس منه بعض الجفوة والتحامل فى المخاطبة .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن عمر بن لبابة يثني عليه ويصفه بالخير والفضل .

وقال خالد بن سعد : وأخبرنى محمد بن هاشم الزاهد قال : أخبرتنى امرأة صالحة من أهل الاستتار أنها أتته إلى داره فى بعض الأيام ، وذلك قبل الظهر فقرعت عليه الباب فخرج إليها، وكانت لا تعرفه قبل ذلك، وعلى يده أثر العجين كما كان يعجن .

فقالت له : أريد أن تكلم القاضي فإن لى إليه حاجة ، فقال لها : تقدمى إلى المسجد الجامع فإنه يوافيك فيه الساعة قالت : فأتيت الجامع فركعت ثم جلست انتظر القاضى فلم ألبث أن أتى ذلك الرجل الذى خرج إلى وبيديه أثر العجين ، فجعل يركع فسألت عنه فقيل لى : هو القاضى فلما سلم تعرضت إليه فكلمته فى حاجتى فقضاها لى .

قال خالد بن سعد : أخبرنى عبد الله بن قاسم قال : أخبرنى أبى قال :

وقفت بمحمد بن سلمة القاضى ، فسألنى أن أشترى له كساء بركان : قال عبد الله فأمرنى أبى أن أهبط إلى البزازين فى طلبه ، فهبطت فاشتريت له كساء بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار ، ثم أتيت به أبى فسار به إليه فاستحسنه وقال بكم هذا الكساء ؟

فقال له : يقع عليك بعشرة دنانير فسبق إلى القاضي أنه ثمنه فأخرج إليه عشرة دنانير فلما كان بعد ذلك لم ينشب أن أتاه أبو يحيى صاحب أحباس فقال له : إن القاضي يقرئك السلام ويسألك أن تقبض الكساء وترد العشرة الدنانير ، فإنه قد احتاج إلى نفقتها والكساء قد استغنى عنه ، فقال له : أبى يرد الكساء وأنا أعطيه الدراهم ينتفع بها إلى وقت يتيسر له ، فأبى صاحب الأحباس من ذلك قال : فأنكرت ذلك وقلت : ما الذى أوجب هذا فقد علم ثمنه فلم يقبله وقال : إنما ظننت أن ثمنه عشرة دنانير كما أعطيت فإذا ثمنه أكثر من ذلك ، فلا حاجة لى أن أتحامل على الرجل فى ماله .

قال عبد الله : وكانت بين أبى وبين محمد بن سلمة محبة ومداخلة وكان يختلف النساء بعضهن إلى بعض فأتتنا ابنته فى بعض الأيام زائرة وهو على القضاء ، فأمر أبى النساء أن يكسونها مقنعا عراقيا فكسونها ذلك ، فلما انصرفت من عندنا رأى القاضي المقنع عليها فأنكره وقال لها : من أين لك هذا فوصفت له الخبر على وجهه فقال لها : يا بنية ليس هذا المقنع من كسوتك مع انه يحتاج هذا المقنع إلى ثوب من جنسه ورداء من جنسه ثم أمرها برد المقنع ولم يقبله .

قال محمد بن عمر بن لبابة : اتيت القاضي محمد بن سلمة فلم أر فى دواته إلا أقلاما مكسورة ، فأخذت مع نفسى أقلاما حسانا كانت عندى وبريتها واتيته بها فأبى من قبولها .

وقال : لو كنت متقبلا لهديه لقبلت هديتك وردها على .

قال : وأخبرنى سليمان بن محمد بن أبى ربيع قال : كنت أخاصم عند القاضي محمد ابن سلمة ، فسعى على عنده وأغرى بى ، فكنت إذا أتيت مجلسه خرج على إمام الناس فشكوت ذلك إلى محمد بن عمر بن لبابة وأردت أن أستعين به عليه ، وكان أكبر الناس عنده وأقربهم منه فقال لى ابن لبابه : لست أرى أن تستعين عليه بى ولا بغيرى غير أنى أدلك على حالة أرجو ان تنتفع بها عنده ، وأن يرجع إلى ما تريد من الحق تحيل وقت حلوه

فإذا صاح عليك فلا تهب منه صياحه وقل له عند ذلك : يا قاضى المسلمين الله أولى بك قال لى ابن الربيع ففعلت ما دلنى عليه ابن لبابه وقلت له ما قال فانكسر عند ذلك ورجع عما كرهت .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن عمر بن لبابة يقول : أتيت أنا والحبيب بن زياد إلى محمد بن سلمة لتعديل ابن شراحيل المعروف بالعجيزة فعدّلناه عنده فقام الحبيب ابن زياد وبقيت أنا عنده فقال لى القاضى: أبا عبد الله : ما تقول فى القاضى يعدل عنده الرجل وهو يعرفه بغير العدالة بأى شىء يأخذ أبعلمه أو بتعديل المعدّلين له قال ابن لبابة: فقلت له إذا علمه القاضى بالجرحة فذلك أولى أن يأخذ به من قول المعدلين فقال لى محمد بن سلمة فإن هذا الذى عدلتم هو عندى غير عدل قال فقلت له انت أحق بعلمك ونحن قد عدلناه بمبلغ علمنا ومن عرف الباطن فهو أحق ممن عرف الظاهر .

قال خالد بن سعد : فذكرت الحكاية لمحمد بن عبد الملك بن أيمن فذكر أن محمد ابن سلمة لم يكن يعرف ابن شراحيل بجرحة غير أن بعض جيراننا كانت له خاصة من القاضى فآذاه عنده بشىء كان بينه وبينه .

قال محمد : قال لى أحمد بن عبادة : كنت يوما ما شيا مع محمد بن سلمه وهو على القضاء فلقينا إنسانا على رأسه غرارة فيها شىء مستور وبيده كبر فأمر القاضى بكسر الكبر وعلم ولم يشك أن الغرارة مملوءة أكبارا فقال انزلوا الغرارة وانظروا ما فيها فقال احمد ابن عبادة فقلت له : ما عليك أن تفتش أمتعة الناس وخباياهم إنما عليك أن تغير ما ظهر من المنكر قال: فأمسك عما أمر من تفتيش الغرارة ثم سرنا فلقينا محمد بن عمر ابن لبابة فسأله عن ذلك فقال ابن لبابة: مثل ما قلت له قال فعطف على فقال لى : لقد انتفعنا بصحبتك اليوم يا رعينى .

قال أحمد بن عبادة حكى رجل كان يخدم محمد بن سلمة ويمشى معه قال : بينما القاضى يوما فى بعض الأزقة ونظر إلى سكران

فقال لى : خذه حتى أقيم عليه الحد فقال له السكران : تعلى انت بنفسك يا قاضى فخذنى والله لئن أخذتك لأضربنك ضربا وجيعا قال : قصد محمد بن سلمة طريق السكران وأخذ بغيره ثم قال لى القاضى: سمعت ما قال: والله ما أظنه إلا كان يفعل الحمد لله الذى نجانا منه :

وكان محمد بن سلمة فى أول ولايته القضاء متحرفا عن محمد بن غالب إلى الرجوع مع محمد بن سلمة والمشى معه فلم يقبل ذلك منه محمد بن سلمة وأمره بالانصراف استثقالا له فانصرف عنه محمد بن غالب ففى انصرافه لقى فتى من أصحاب الرسائل طالبا لأثر القاضى يسأل عنه وبيده كتاب من عند الأمير رحمه الله فعلم ابن الصفار متى ورده الكتاب لم يقم للجواب فانصرف ابن الصفار فى أثر الفتى حتى دخل المسجد الذى فيه القاضى فوجد الكتاب بيده والفتى يحركه فى المجاوبة وقد بقى القاضى حائرا فلما نظر ابن سلمة إلى ابن الصفار قال له : ما صرفك؟ فقال له : أصلحك الله لقيت هذا فعلمت أن قصده إليك فقفوت أثره لنكفيك المجاوبة وأصونك عن الشخوص فيها فأمكنه القاضى من الجواب فأجاب عنه وأحسن فشكر القاضى ما كان منه وعاد بحسن الرأى عليه ولم يزل محمد بن غالب بعد ذلك متبجحا فى دولته مالكا لأمره حتى توفى سنة إحدى وتسعين وولى بإثره الحبيب .

قال محمد : وكان الأمير عبد الله بن محمد رضى الله عنهما من الأئمة المهديين والخلفاء الفاضلين فى العبادة والمتقدمين فى الزهادة ، وكان أيامه رجل من أهل الزهد والعبادة والفضل يعرف بالصياد فسأل الأمير رحمه الله يوماً النضر بن سلمة فقال له : متى عهدك بالصياد ؟ فقال له : لا عهد لى به، فقال له : مثلك لا يكون له عهد بالصياد فقمعه بذلك ثم ادخل على نفسه محمد بن سلمة فقال له : متى عهدك بالصياد ؟ .

فقال له : الساعة رأيته فى الجامع فملت إليه وسلمت عليه وسألته عن حاله فقال له

الأمير رحمه الله : مثلك قرب عهده بمثل الصياد وعرف حقه وكان الأمير رحمه الله بمحمد بن سلمة معجباً لدينه وفضله وصحته وسلامة صدره :

قال محمد : فكان محمد بن سلمة قاضياً ما شاء الله من الأيام ثم عزله الأمير رحمه الله وكان السبب فى عزله إياه أن النضر بن سلمة أحب الرجوع إلى القضاء وطمع فى ذلك لو عزل أخوه محمد فزين لأخيه مكاتبة الأمير رحمه الله بالاستعفاء عن القضاء فقبل منه محمد وكتب يستعفى فأجابه الأمير رحمه الله إلى ماسأل وعافاه من القضاء كما رغب .

ذكر القاضى النضر بن سلمة المرة الثانية

قال محمد: ولما أسعف الأمير رحمه الله عبد الله ابن محمد رضى الله عنهما قاضيه محمد بن سلمة بما سأل من المعافاة وعزله عن القضاء أعاد النضر بن سلمة إلى خطة القضاء وأقر محمد ابن سلمة على الصلاة والخطبة فكان النضر القاضى، وكان محمد بن سلمة صاحب الصلاة .

قال محمد : سمعت غير واحد من أهل العلم يقول كان النضر فى المرة الأولى أحمد منه فى المرة الثانية ولم يبلغ فى القضاء الثانى مبلغه فى الأول. قال محمد : وتصرفت الحال بالنضر إلى أن رأى الأمير رضى الله عنه أن يستوزره فعزله عن القضاء وولاه الوزارة وجمع الخطتين : خطة القضاء وخطة الصلاة لمحمد بن سلمة .

ذكر القاضى محمد بن سلمة المرة الثانية

قال محمد : أخبرنى أحمد بن عبادة الرعينى قال : لما ولى محمد بن سلمة خطة القضاء بكى كراهية لما قلد منها وكان رجلا صالحا فاضلا صحيح المذهب قال محمد : وقد قدمت من أخباره وذكر فضائله فى دولته الأولى ما لا يصلح تكريره فى هذا الموضع .

قال محمد : أخبرنى فرج بن سلمة البلوى عن محمد بن عمر بن لبابة وذكر أيضا خالد ابن سعد عن ابن لبابة قال : أرسل فى القاضى محمد بن سلمة فسألنى أن أعقد له كتاب وصيته قال ابن لبابة فعقدتها على أنه أوصى بثلثه ثم ذهب يوزع الثلث على ما يوصى به فوزع

منه مثل عشرة دنانير ثم انقطع توزيعه. قال ابن لبابة فقلت له: ثم ماذا قال هذا ثلثى فيما أحسب قال فجعلت أجيل بصرى فى داره فشعر لى فقال: والله ما لى فيها شىء يعنى فى رقبة الدار وأنها لابنتى عافية قال محمد بن لبابة : فلما توفى حضرت تحصيل تركته فبلغ نحو ثلاثين أو خمس وثلاثين دينارا قال محمد : وتوفى محمد بن سلمة فى أيام الأمير عبد الله بن محمد رضى الله عنهما قاضيا غير معزول .

قال محمد : أخبرنى بعض أهل العلم قال : لما اشتد بمحمد بن سلمة مرضه ولم يستطع الخروج إلى الخطبة بالناس يوم الجمعة سأله ولده أن يكتب إلى الأمير ويسأله أن يستخلفه على الصلاة فقال : والله ما أفعل ولا أختار لصلاة المسلمين. وأشير بتقديمه على الأمير إلا من يستحقها ومن هو أهل لها وكتب إلى الأمير يشير عليه بمحمد بن عمر ابن لبابة فقبل الأمير رحمه الله رأيه وأمر ابن لبابة بالصلاة .

قال محمد : ذكر لى بعض رواة الأخبار قال : لما مات محمد بن سلمة نظر الأمير عبد الله فى قاض وعزم على أبى الغمر بن فهد وأمر بالإرسال فيه فكان غائبا فى ضيعته بقبرة وافترق الوزراء وعرف جذمير العجمى فلما خرج من القصر جذمير أتى أحمد بن محمد فأعلمه بما كان وقال : عجبا منهم أن يكون مثلك من بيت القضاة يطرح عنك ثم قال له سأخل عنك البينة فإن كان لك فى البيت من يذكر ويشير بك فعل فانصرف الحبيب فاجتمع مع عبد الله بن الزجالى وتكلم معه فى ذلك ثم تكلم مع محمد بن أمية ليلته تلك أيضا ثم أصبح جذمير فدخل على عبد الله فقال له : إنى هممت بالرجوع إليك عشية أمس غير أنى كرهت تحريكك . خرجت فوجدت جملة من المساكين يبكون أنفسهم ويقولون عزم الأمير أن يولى ابن فهد فإن ولاه أكل أموالنا برغبته وحرصه وانهك أحباسنا فقال الأمير : والله إن فيه لرغبة ثم أدخل الوزراء فأعلمهم أن رأيه حال عن ابن فهد فأشار ابن الزجالى بالحبيب وذكر أن ابن أمية

أوصى إليه ببناته وأرسل فى كتاب وصيته فنظر إليها الأمير فأمر بتوليته القضاء فولى .

ذكر القاضى الحبيب احمد بن محمد بن زياد اللخمى المرة الأولى

قال محمد : ولما توفى القاضى محمد بن سلمة أمر الأمير رحمه الله محمد بن أمية صاحب المدينة يومئذ أن يقبض الديوان وأن يجعله بمكان الحفظ والصيانة حتى يولى القضاء من يرضى فيصير إلى نظره ففعل ذلك وبقى الناس لا قاضى لهم برهة من الزمان وكان الأمير عبد الله بن محمد رضى الله عنه فى ذلك الوقت يستشير ويستخير ويتكرر بالنظر ويقلب الرأى فيمن يقلده القضاء بعد محمد بن سلمة فجمع الوزراء يوما من الأيام وجعل يشاورهم فى قاض فقام إليه محمد بن أمية فقال أصلح الله الأمير إن الرجل لا يعهد بوصيته ولا يأتمن على ولده وماله غير أوثق الناس وهذه وصيتى فانظر إلى من أسندتها فقال له الأمير : صدقت ثم نظر إلى كتابه فوجده قد اسندها إلى الحبيب أحمد بن محمد ابن زياد فقبل منه الأمير رحمه الله رأيه وولى القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمى وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

قال محمد قال لى غير ما رجل من عقلاء الناس وعلمائهم كان القاضى أحمد بن زياد المعروف بالحبيب أكمل الناس أدبا وأكثرهم بالصديق برا وأكرمهم عناية وأقضاهم لحاجة فى ماله وحرمته وكان حسن المداراة لطيفا فى الأمور طلوبا إذا طلب صبورا على القارعة والمواصلة .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم قال : لم يزل أحمد بن محمد بن زياد فى حداثة سنه أثيرا عند الخلفاء رحمهم الله شاوره الأمير محمد مع الفقهاء فى بعض الأقضية واستسقى بالناس فى أيام الأمير المنذر رحمه الله مديلا للقاضى أبى معاوية من غير ولاية فسقى ونزل الغيث .

قال محمد : وكان الحبيب من أوفر الناس واملئائهم وكان بصيرا بالتجر عارفا

بوجوهه قال لى بعض الشيوخ : إنما كانت المنة على الحبيب فى ماله للقاضى سليمان بن أسود فإنه كان يعنى بالحبيب عناية شديدة وكان الحبيب فى مبتدأ أمره لا مال له فدعاه سليمان فوعظه ووصاه بالنظر لنفسه والاكتساب لها وعرفه بحرمة المال وجسيم منفعته ودله على باب التجر وحضه عليه فقال له الحبيب: إن التجر لا يكون إلا بمال وأنا لا مال لى فسكت عنه سليمان أياما ثم دعاه فأودعه خمسة آلاف دينار وقال له حركها واتجر بها لنفسك فكانت نصاب ماله ومفتاح كسبه .

قال محمد : ولما ولى القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زياد وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين لم يقبل الرأى ممن أشار به عليه حتى يقيده على نفسه بخط يده فكان أول قاض ضم أهل الفقه المشيرين عليه فى فى أقضيته إلى ضبط فتياهم وزمام رأيهم بخط أيديهم ولم يكل ذلك إلى خط كاتبه ولا إلى خط نفسه ثم تكلف بعد ذلك تأليف تلك الأقضية وجمع تلك الأحكام فجعل منها أجزاء فيها بلاغ لمن نظر فيها ومنفعة لمن اقتبس منها وهى لا بأس بعلمها ولا تقصير فى صوانها وكان قد قعد عنه فى قضائه هذا الأول الشيخان : محمد بن عمر ابن لبابة ، وأيوب بن سليمان ، وكانا فى وقتهما شيخى البلد وعظيميه علما وفقها مع السن والجلال من صنعة العلم ومعانى الفقه مع كثرة الدر به وطول المراسة وقديم المعاناة والرسوخ الكامل فى مذهب الرأى وطرق الفتيا فلما نظر الحبيب إلى تثاقلهما وقعودهما عن اتيانه استغنى بمحمد بن وليد الفقيه وبمحمد بن عبد الملك بن أيمن عن الشيخين برهة من الزمان وحينا من الدهر ثم سعى فى إصلاح ذلك وتألفه عمر بن يحيى بن لبابة وكان قد فسد فى ذلك الحين ما بين الشيخين أيضا محمد بن عمر بن لبابة وأيوب بن سليمان فجمع عمر بينهما عند أسلم بن عبد العزيز وجعل شرطهما فى الإصلاح الإجتماع على إزالة محمد بن أيمن عن مكانته عند الحبيب

بن زياد فدارت فى ذلك بينهم أحوال طويلة الوصف على مايكون بين الضدين ولا ضد أكبر من المزاحمة والمنافسة فى الدرجة ولا سيما إن جريا إلى غاية واحدة بأهواء مختلفة واختلفت حظوظهما فى القسم فكان أحدهما يتطاول بخطة من الحرمة والوجاهة وصاحبه يتطاول بالعلم والنباهة وجحد كل واحد منهما حق صاحبه ولم يقر له بما ينتحل ودافعه فيما يقول .

قال محمد أخبرنى بعض الشيوخ قال تقدم رجل كهل إلى الحبيب بن زياد فشهد عنده بشهادة فقال له القاضى مذ كم عرفت هذا الأمر فأجابه الشاهد بجواب أخرج فيه الكلام على وجه المبالغه والرمى إلى الغاية فقال لهمذ مائة سنة فقال له القاضى ابن كم أنت ؟ فقال له :

ابن ستين فقال له فكيف عرفت هذا الأمر مذ مائة سنة أتراك عرفته قبل أن تولد بأربعين عاماً فقال له الشاهد إنما قلت ذلك على المثل فقال له الحبيب إن الشهادات لا تؤدى بالمثل ثم دعا للشاهد بالسوط فقنعه به مرات ثم قال لوأن إبراهيم ابن حسين بن عاصم تحفظ من مثل هذا ما صلب إنساناً بغير حق .

قال محمد : وكانت قصة المصلوب الذى صلبه إبراهيم بن حسين أن الأمير محمداً رحمه الله حدثت فى أيامه مجاعة شديدة فكثر فيها التطاول من الفسدة لفضل ما كانوا فيه من ضر السنة وكثر الشكوى بذلك إلى الأمير رحمه الله وكثر عليه من الحكام استطلاع رأيه فى الصلب والقطع وما أشبهه فولى السوق حينئذ إبراهيم بن حسين بن عاصم وأمره بالاجتهاد وعهد إليه بالتحفظ وأذن بالتنفيذ فى القطع والصلب بلا مؤامرة منه ولا استيذان فكان إبراهيم يجلس فى مجلس نظره فى السوق فإذا أوتى بالفاسد المفدح قال له اكتب وصيته ودعا له بشيوخ فأشهدهم على ما يوصى به ثم صلبه ونحره فكان بين يديه من المصلبين عدد عظيم فأتاه قوم بفتى من جيرانهم فشكوا منه إليه

تطاولا على ما يكون من أشرار الأحداث وهم لا يشكون أنه سيزجره الزجر القوى وإن أفرط فى عقابه بالسجن فقال لشيخ منهم ما يستحق عندك فقال على وجه المثل والمبالغة فى الوصف ما استحق هؤلاء وأشار إلى المصلبين فقال له إبراهيم بن حسين ولأصحابه انصرفوا ثم قال للفتى أكتب وصيتك فقال له إتق الله فى فإنه لم يبلغ ذنبى أن أستحق القتل والصلب فقال له بذلك شهد عليك الشهود فقتله وصلبه . فلما بلغ الشهود ذلك أتوه فقالوا له لم يشهد عندك على الفتى بذنب يجب فيه القتل فقال أو لم يقل قائلكم إنه يستحق ما يستحق هؤلاء . فقالوا له على المثل قال فإثم ذلك فى رقابكم إذ لم تحسنوا الإبانه من أنفسكم .

قال محمد : بلغنى أن الحبيب جلس إلى مائدته رجل من السوق كان له صنيعة وكان السوقى قد أخرج فى كمه من بيته خبزاً يتغذاه فى حانوته فى داخل النهار فخطر بالقاضى الحبيب فى صدر النهار فأمره بالمقام حتى حضرت المائدة فتقرب الرجل وأظهر مزاحاً سمجاً فأخرج خبزه من كمه ثم قال أما أنا فقد أتيت بخبزى مع نفسى فمنه آكل وكان الحبيب شريف الهمة شديد اليقظة فقال له ويلك إن هذا الكلام وإن كان مزاحاً فإنه عادة يبقى ثم قال لغلامه خذ بيده وأقم عنه المائدة وأخرجه فليس مثل هذا يستخص .

قال لى عثمان بن محمد كان بين الحبيب ابن زياد قبل أن يلى القضاء وبينه جعفر ابن يحيى بن مزين سبب من شحناء وضغن وكان جعفر ممن يصلى فى المقصورة فلما ولى الحبيب القضاء أمر بعض القومة يوم الجمعة إذا أتى جعفر بن يحيى بن مزين ليدخل من باب المقصورة فليسبق الباب ويغلقه فى وجهه ولا يدخل ففعل ذلك به فمال جعفر إلى جانب الباب من خارج وصلى ثم انصرف إلى بيته فيقال إنه ظهر به يرقان فمات إلى الثالث وهذا فيما ذكرناه من مطالبة الحبيب لمن شذ عنه .

قال محمد ذكر بعض أهل العلم قال إن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الجباب امتد إليه رجل من جيرانه وهو حدث السن يومئذ فنال منه بسبب النفى الذى كان يتعادى به الجيران فتقدم محمد بن إبراهيم إلى الحبيب بن زياد فى دولته الأولى مشتكيا بالرجل فأمر الحبيب بحبسه فشفع فى إطلاقه محمد بن عمر بن لبابة وأبو صالح أيوب ابن سليمان وقالا له : تحبس رجلا بدعوى خصمه فأبى الحبيب من إطلاقه وقال كان أبى وعمى لا يلتمسان على من شطا به أهل العلم ومن يوسم بخير ظهيرا ولم يطلق الرجل إلا لمن حبسه له قال محمد إن كانت هذه الحكاية صحيحة عن الحبيب فهى من فلتات الرأى وعثرات الجهل وما حكى من ذلك عن أبيه وعمه فقد لا يصح ذلك ولو صح لم تقم له به حجة على مذهب الحق الذى لا يمترى فيه بشر وآن الصدق فى ذلك أن أفضل النـاس دينـاً وعلماً وأدباً ومروءة لو أدعى على أحد فلسا لم يعط بدعواه ذلك الفلس فما هو أعظم من ذلك من الحبس والعقاب أحق ألا ينفذ لأحد بدعواه غير أن من اجتهد فى الإصابة فثوابه مرجو ووزر الخطأ الذى لا يملكه عنه مرفوع والله المطلع خفى الضمائر والعالم بسرائر النيات وليس الخطأ بعيب على الراسخ فى العلم ولا الزلل منكور على أهل الفهم قال الله تبارك وتعالى « وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتيا حكما وعلما » . فشهد الله عز وجل لنبيه سليمان عليه السلام بالإصابة ولم يذمم داود بالخطأ ثم أثنى عليهما معا فقال تعالى وكلا آتيناه حكما وعلما .

قال محمد :ولم يزل أحمد بن محمد بن زياد قاضيا فى دولته الأولى من سنة إحدى وتسعين ومائتين إلى أن توفى الأمير رحمه الله عبد الله بن محمد فلما ولى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه الخلافة أقر أحمد ابن محمد بن زياد على القضاء مدة يسيرة ثم عزله .

ذكر القاضى أسلم بن عبد العزيز

قال محمد هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز ابن هاشم بن خالد بن عبد الله ابن حسين ابن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وولاؤهم لعثمان ابن عفان رضى الله عنه كان عظيم القدر شريف البيت كريم الأبوة معروف النصيحة ظاهر الإخلاص للخلفاء رضى الله عنهم مع الجلالة فى العلم والإدراك فى الرواية والرحلة فى الطلب والصحة فى الديانة سمع بالأندلس من علمائها ثم رحل فلقى بمصر محمد بن عبد الله ابن عبد الحكيم وإسماعيل بن يحيى المزنى ويونس بن عبد الأعلى وسليمان بن عمران بالقيروان وذلك فى سنة ستين ومائتين .

قال خالد بن سعد : سمعت أسلم ابن عبد العزيز يقول : دخلت حمام الاصطبل يوما فلما خرجت لقيت محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم راكبا على حمار فسلم على وكان قد عرفنى بسماعى منه فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الحمام فقال : وأى الحمام قلت : حمام الاصطبل فقال : مثلك يدخل حمام الاصطبل فقلت له : وما شأنه ؟ فقال لى : هو مغصوب لا يحل دخوله فقلت له : ومن غصبه فقال : كان لبنى أمية فقلت له مهما حرم على أحد فإنه لى حلال فقال لى : وكيف ذلك فقلت له الحمام لهم وأنا مولى القوم قال فضحك ابن عبد الحكم قال أسلم فكنت إذا أتيت مجلسه بعد ذلك وقد كثر الناس فيه قال خلف إلى هاهنا فيدنينى ويكرمنى ويقول من طريق ذلك الطريق يعنى ابن عبد الحكم أن ولاءه أيضا لبنى أمية رضى الله عنهم .

قال محمد : ولما قضى أسلم بالمشرق حجة وسماعة انصرف فنال الوجاهة العظيمة والمنزلة الشريفة وكان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه عارفا بمذاهبه الحسنة ومروءته الكاملة وأوصافه المحمودة فلما عزل أحمد ابن محمد بن زياد عن القضاء ولى أسلم ابن عبد العزيز قضاء الجماعة بقرطبة سنة ثلاثمائة يوم الأربعاء لسبع بقين من

جمادى الآخرة فذكر بالسالمين من عيون القضاة إيثار الحق وإمضائه وكان صارما صليبا لا هوادة عنده لظالم ولا مداهنه مع مبطل .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم قال : كان بقرطبة رجل أعجمى ممن استنزل من الحصون المخالفة،وكانت له امرأة حرة مسلمة فاستجارت بالقاضى أسلم ابن عبد العزيز فأجارها وبدأ بالنظر فى أمرها وكان فى ذلك الوقت الحاجب بدر بن أحمد يحل من أمير المؤمنين رحمه الله محلا لطيفا فلم ينشب القاضى أسلم وأتاه يعلى عن الحاجب بدر فقال له الحاجب : يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن هؤلاء العجم إنما استنزلناهم بالعهد، ولا يحل الحقد بهم وأنت أعلم بما يجب من الوفاء بالعهود فدع بين فلان العجمى وبين الأمة التى فى يديه فقال أسلم ليعلى الحاجب : أرسلك بهذا قال : نعم قال : فأخبره عنى الإيمان كلها لازمه لى لا نظرت بين اثنين حتى أنفذ على العجمى ما يجب عليه من الحق فى هذه الحرة المسلمة التى فى يديه فذهب عنه يعلى ثم رجع إليه فقال الحاجب يقرأ عليك السلام ويقول : إنى لا أعترضك فى الحق ولا أستحل سؤال ذلك منك وإنما أسألك التثبت فى ما يجب من حق هؤلاء المعاهدين فقد علمت ما يجب من رعايتهم وأنت أعلم بالواجب .

قال محمد : وكان القاضى أسلم ابن عبد العزيز شديد المباينة فى الحق قليل المداراة فيه وكان ربما أخرج ذلك بلفظ نادر ومعنى طيب يعجب بمعناه من جهة الرأى ويستندر لفظه من جهة النادر والفكاهة : أخبرنى مخبر من أهل العلم قال : دخل أبو صالح أيوب بن سليمان وسعد ابن معاذ على القاضى أسلم فلما أخذا مجلسهما نظر إليهما أسلم ثم قال : ألقوا ما أنتم ملقون فأبهتهما بنادر لفظه وبصدق معناه .

قال : ودخل عليه محمد بن وليد الفقيه يوما فكلمه فى شىء فقال له أسلم : سمعنا وعصينا فقال له ابن وليد : ونحن قلنا واحتسبنا .

قال : ودخل عليه رجل ممن كانت له خصومة فقال له : قد أتيتك برجل يشهد لى من أشبيلية يدخل فأظهر التعجب من ذلك وكأنه اتهمه فلما صار الشاهد بين يديه قال له القاضى : محتسب أنت أو مكتسب فصادف عند الرجل أنفة فقال له : ما عليك يا قاضى أن تسألنى عن مثل هذا إنما على أن أقول وعليك أن تسمع ثم أنت بالخيار إن شئت فاقبل وإن شئت فلا تقبل قال : فأخجل أسلم كلامه وصحة معناه ثم قال : قل فقص الرجل شهادته ثم وضع يديه فى الأرض وقام عنه .

ومن المستفيض عنه قوله لرجل من أهل لبلة وقد أتاه وسلم عليه ثم جلس ثم قال : تعرفنى يا قاضى قال له : لا قال : أنا قاضى لبلة فقال أسلم : ما تنكر لله قدرة وبلغنى أنه بلغه عن بعض الفقهاء أنه يقبل إليه ليشهد عنده شهادة قد أهدى إليه صاحبها بساطا فلما دخل عليه ونزع أخفافه وهم أن يمشى على البساط قال : تحفظ من البساط فلم يجسر أنه يشهد بما أتى ليشهد فيه .

قال محمد : وسمعت من يحكى أنه جاء رجل من النصارى مستقتلا لنفسه فوبخه أسلم وقال : ويلك من أغراك بنفسك أن تقتلها بلا ذنب ، فبلغ من سخف النصرانى وجهله إلى أن انتحل له فضيلة لم يقرا لمثلها(١) لعيسى بن مريم صلى الله على محمد وعليه فقال للقاضى : وتتوهم أنك إذا قتلتنى أنى أنا المقتول فقال له القاضى : ومن المقتول فقال له شبهى يلقى على جسد من الأجساد فتقتله وأما أنا فأرفع فى تلك الساعة إلى السماء فقال له أسلم : إن الذى تدعيه من ذلك غائبا عنا والذى يخبرك به من تكذيبك غائب عنك ، ولكن ثم وجه يظهر صدقه لنا ولك فقال له النصرانى : وما هو فالتفت أسلم القاضى إلى الأعوان ثم قال : هاتوا السوط ، ثم أمر بتجريد النصرانى فجرد ، ثم أمر بضربه فلما أخذته السياط جعل يقلق ويصيح فقال له أسلم : فى ظهر من تقع هذه السياط فقال : فى ظهرى قال له أسلم :

(١) كذا فى الأصل ، ولعل توجيه العبارة أن يقال : لم يقر بمثلها إلا لعيسى بن مريم .

وكذلك السيف والله فى عنقك تقع فلا تتوهم غير ذلك •

قال محمد : فكان أسلم قاضيا محمود السيرة ، مشكور الحال من سنة ثلاثمائة إلى آخر سنة تسع وثلاثمائة وكان صاحب الصلاة فى تلك المدة محمد بن عمر ابن لبابة،وكان أمير المؤمنين كثيرا ما يستخلف أسلم بن عبد العزيز فى سطح القصر إذا خرج فى مغازيه ثم ألح أسلم على أمير المؤمنين أطال الله بقاءه فى الاستعفاء من القضاء فعافاه منه .

قال محمد : قال لى محمد بن عبد البر : كنت بين يدى أسلم جالسا حتى أتاه الفتى من عند أمير المؤمنين أعزه الله أمر بعزلته عن القضاء قال : فوجم ثم أطرق ساعة ثم قال : الحمد لله الذى عافانى منها ، فطال ما سألته ذلك قال محمد بن عبد الله : فأكدت بصيرته فى ذلك وذكرته بكثرة تمنيه للعافية منها . قال لى بعض رواة الأخبار : وكان فى ذلك الوقت مرشحا للقضاء رجل كان فى أبويه عجمة فلما عزل أسلم وولى الحبيب جعل أسلم يقول : الحمد لله الذى جعلنى ممن يقول : لا إله إلا الله،يعرض بالرجل المرشح الذى كان آباؤه عجما •

ذكر القاضى احمد بن محمد بن زياد المرة الثانية

قال محمد : قال لى بعض رواة الأخبار وكان السبب فى إعادة الحبيب إلى القضاء إنه لما ولى أسلم القضاء أذل الحبيب فى نفسه وفى صنائعه ، واستقصى عليهم ، وركب إلى الحبيب بنفسه وهدم عليه حائط منيته ،وأخرج منها إلى الطريق صفين من شجر بما ثبت عنده فجعل نفسه الحبيب فى الطلب فأول ما بدأ باستصلاح أم ولد بدر، فلما أصلح جانبها أصلحت له جانب بدر فاختلف إليه الحبيب مرات ثم قال له يوما: نسيتنى يا أبا الغصن فكر فى أوليائك وفى أعدائك ثم أين تجعلنى وأين تجعل أسلم ؟ فلهى عنه بدر وقال : لست بالله أغفل أمرك . ثم تأهب أمير المؤمنين لغزوة من الغزوات فخرج الحبيب مشيعا لبدر فقال

له : إن الأمير لا يعرفك بالمخالطة حق المعرفة ، ولكن كاتبه فى هذه الغزاة، ووال بالكتب. ثم إذا كان القفل فاخرج، وأبدر الناس إلى التلقى بنا. ففعل فكاتب وألح بالكتب وجووب ثم خرج عند القفل فتلقى الأمير على مسيرة يوم فأمره الأمير فتقرب وواكب وأخلى له بدر موضع المواكبة، وكان الحبيب كثير الخبر فاستولى بالحديث على الأمير نسقا واحدا ، إلى منية نصر فاستحيا منه أمير المؤمنين، وتكلم فى أمره مع بدر ، ثم ولاه ذلك الوقت القضاء ، وأظهر إسعاف أسلم بما كان يسأل من الاستعفاء .

قال محمد : ولما عافى أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ أسلم بن عبد العزيز وعزله عن القضاء ، أعاد أحمد بن محمد بن زياد إلى قضاء الجماعة ، وإلى الصلاة ، فلما ولى تعنت أمناء أسلم بن عبد العزيز وامتحنهم فى الودائع ، واضطرهم إلى إحضار ما بأيديهم من الأموال.

قال لى أحمد بن عبادة : فلقد سرت إلى الحبيب وهو جالس فى المسجد الجامع، يمتحن الناس ، ويكشفهم عن الأموال، فجلست ساعة، ثم قمت عنه ، فى حين لا يقوم عنه قائم إلا بإذنه، وبعد فصل من أمره، فنظر إلى الحبيب نظرة فأخبرنى من كان إلى جنبه . قال : التفت إلى إذ قمت فقال : ما أرى على الرجل فى الديوان شيئا ؟ يعنى مالا قال: فقلت : ما أرى ذلك .

قال أحمد بن عبادة : ولم أشعر بعد أيام حتى أتى رسول القاضى الحبيب يأمرنى بالإقبال إليه، فأقبلت، فقال لى : وجدت لك أسما فى الديوان بقبض مال ليتيم ولم أجد لك منه براءة قال : فقلت له : اليتيم حى رشيد ، وقد أطلقته من الولاية ، وبريت له بجميع ما كان له عندى : فإن أتاك يدعى شيئا مما كان عندى فهو المصدق بلا بينة ولا يمين ، فقال: ولا كل هذا. إنما كرهت أن يكون ذكرك فى الديوان بقبض مال بغير ذكر البراءة منه . ثم خرجت عنه .

قال محمد : ولم يزل الحبيب قاضيا فى المرة الثانية وصاحب صلاة حتى توفى غير معزول فى سنة عشرة اثنى وثلاث مائة .

ذكر القاضي أسلم بن عبد العزيز المرة الثانية

قال محمد : ولما توفى القاضي أحمد ابن محمد بن زياد أعاد أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ أسلم بن عبد العزيز إلى القضاء وولى أحمد بن بقي بن مخلد الصلاة، فكان أسلم ابن عبد العزيز صنيع الحبيب فى الاستقصاء على الأمناء فوقف أسلم بن عبد العزيز أمناء الحبيب موقف الامتحان والاستقصاء .

قال محمد : وكان أسلم فى قضائه هذا الثانى قد أدركه الوهن، وأخذت منه السن، فانكسر بعض الإنكسار غير أنه باقى الفطنة مجتمع الفهم، يقرأ عليه العلم ، وتعرض عليه الكتب ، من فنون الحديث ، وأبواب الفقه فلا يزول عنه من الصواب شيء ، ولا يشذ عنه من المعانى ما يشذ على مثله من أهل الكبرة والسن، كان كذلك حتى كف بصره وضعف بدنه، وعجز عن التصرف، فعزله أمير المؤمنين أعزه الله عن القضاء سنة أربع عشرة وثلاث مائة، ثم كانت وفاة أسلم بعد ذلك إلى، سنين سنة سبع عشرة وثلاث مائة.

ذكر القاضي احمد بن بقى بن مخلد بن يزيد

قال محمد : ولما عزل أمير المؤمنين أعزه الله أسلم بن عبد العزيز عن القضاء، ولى أحمد بن بقي بن مخلد قضاء الجماعة ، وأقره على الصلاة التى كان عليها ، وذلك فى سنة أربع عشرة وثلاث مائة فكانت مذاهبه محمودة وسيرته حسنة وهديه جميلا، وكان له من الوقار والأخبات ما بذ به أهل زمانه وفات فيه أهل عصره .

قال محمد : جالست أحمد بن بقى زمانا فرأيته عاقلاً ، حصيفاً ، داهياً أديباً، وكانت له أخلاق كريمة، وآداب لطيفة، وكان يحسن ما يحاول له قولا وفعلا، وكان مجيدا فى لفظه، مبينا فى كلامه، بليغ اللسان فى خطبته، طويل القلم فى كتبه، وكان أنيس المجلس ، كثير الحكايات .

قال محمد : وسمعت ولى عهد المسلمين ـ أبقاه الله ـ وقد ذكر أحمد بن بقيّ فوصف

من صدقه وتواضعه فقال فيما ذكر : قال لى الحاجب موسى بن محمد بن حدير : سألت أحمد بن بقى عن نسبه وولائه فقال : ولاؤنا لامرأة من أهل جيان .

قال محمد : ثم جعل ولى العهد أبقاه الله يعجب من صدقه وإنصافه وقال : لو شاء لادعى أشرف الأنساب ثم لا يجد فى ذلك مكذبا .

قال محمد : ومما يحكيه الناس عن موسى ابن محمد الحاجب أنه قال: عافانا الله من أحمد بن بقى أنه مال إلى الآخرة وطريقها، ولو مال إلى الدنيا لشغلنا بأنفسنا .

قال محمد : ولم يزل أحمد بن بقى مذ كان فى حداثة سنه معظما، موسوما بالخير، معروفا بالفضل، ظاهر السؤدد، شاوره الأمير عبد الله ابن محمد وهو ابن خمس وعشرين سنة .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم يحكى قال: أرسل الأمير الوزراء فى أبى مروان، عبيد الله بن يحيى بن يحيى، وفى أبى عبد الله أحمد ابن بقى بن مخلد ، فشاورهما فى بعض الأمر ثم انصرفا ، فلما خرجا جعل بشر بن سلمة يحدث أصحابه ويعجبهم من تغير الأحوال، وتقلب الأمور فقال لهم : أتانى عبيد الله ابن يحيى وأنا قاض فى حياة بقى بن مخلد فقال : لست والله أرضى أن تستشيرنى مع بقى بن مخلد فى مجلس واحد، فتجعلنى له نظيرا، ولكن إذا أردت شيئا من ذلك ، فأرسل فيه فى وقت ، وأرسل فىّ فى وقت آخر ، ولا تجمعنا جميعا قال : فلم يمت حتى أرسل الأمير فى ولد بقى بن مخلد وفى عبيد الله فشاورهما فى مجلس واحد .

قال محمد : وكانت أخلاق أحمد بن بقى من أخلاق أبيه بقى بن مخلد فى المداراة والإغضاء ، وحسن الإقبال على عدوه، وجميل الصفح عن ظالمه .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقى : كنت بحضرة أبى ، حتى أتى من يحكى عن رجل ، أنه رفع فيه بطاقة إلى أمير المؤمنين أعزه الله فجعل يدعو لذلك الرافع بالتوبة ، ويتحين عليه من المآثم .

قال خالد بن سعد : أتيت أحمد بن بقى

نهار جنازة ولد الحبيب بن زياد فقال لى : هل لك رأى فى السير إلى دار المتوفى ؟ قلت : نعم . فصحبته ،وخرج وهو ماش من المسجد إلى دار الميت،فلما أتينا بعض الطريق قال : لقد أذانى هذا الميت،وقد صبرت عليه إذ كان فى الدنيا فلم أكافئه وهو اليوم أحوج إلى أن أصبر عليه ، أشهدك أنه فى حل من كل ما فعل بى .

قال محمد : وكان أحمد بن بقى رءوف القلب، رفيق العقوبة ، وله فى مثل هذا المعنى خاصة أخبار معجبة مستجملة بخروجها عما عرف من أخلاق الناس وأخبارهم .

قال لى أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة وفرج بن سلمة البلوى: حضرنا أحمد بن بقى فى مجلس نظره وقد ، أتته امرأة تخاصم زوجها فاستطالت عليه بلسانها، وآذته بصلفها ، فنظر إليها فقال لها: أقصرى وإلا عاقبتك. فانكسرت المرأة شيئاثم عاودت الصلف فقال لها القاضى : أقصرى وإلا عاقبتك فانكسرت ثم عاودت الصلف، فعطف عليها أحمد بن بقى فجعل يقول لها : أنت ظالمة، أنت ظالمة، ثلاثاثم قال لها: ألم أخوفك من قبل هذا ؟ قال : فهذه كانت عقوبته للمرأة على صلفها أن قال لها : أنت ظالمة ثلاثا .

قال لى فرج بن سلمة : وكنت قد حضرت مجلس أسلم، وقد أتته إمرأة تسأل الفرض على زوجها ، فقال أسلم لأبى عبد الله محمد بن قاسم :أفرض لها ففرض فأبت المرأة من القبول وأستقلت الفرض وقالت: ما ثم أحد يتكلم لله . فدعا أسلم لما سمع صلفها بالسوط ، ثم أمر بها فقنع رأسها أسواطا فما زادت المرأة أن جعلت كمها على رأسها حتى فرغ الضرب فلما فرغ قال للقاضى : أحسنت يا قاضى . هكذا يفعل القضاة ! بالله الذى لا إله إلا هو لا قبلت هذا الفرض الذى فرض لى : قال فرج بن سلمة : فلما شهدت فعل أحمد بن بقى بالمرأة شكرته على رفقه ورأفته وحكيت له ما فعل أسلم ابن عبد العزيز فقال : الله المستعان وأسأل الله التوفيق .

وسمعت الناس على الاستفاضة يقولون : لم يقنع أحمد بن بقى فى طول أيامه أحدا

بسوط،حاشى رجلا واحداً يسمى منخل فإنه كان شر مخلوق ، فضربه أسواطا فلم يبق أحد إلا شكر لأحمد بن بقى فعله فيه .

حدثنى أصبغ بن عيسى الشقاق قال : كنت مقبلا يوما مع القاضى أحمد بن بقى حتى عنّ لنا سكران يمشى بين أيدينا فجعل أحمد بن بقى يمسك من عنان دابته ، ويترفق فى سيره يرجو أن يغيب عنه السكران أو يحس به،فيذهب مسرعا،فكان كلما ترفق القاضى وقف السكران ، حتى لم يكن للقاضى بد من أن يقرب منه وينظر إليه قال أصبغ : وكنت أعرف كراهية القاضى أن ينتشب فى مثل هذا ، ورقةقلبه أن يقرع أحداً بسوط. فقلت فى نفسى : ليت شعرى كيف تصنع فى مثل هذا ،يابن بقى ؟ فلماقربنا من السكران نعا عطف علىّ القاضى فقال : مسكين هذا السائر،أراه مخبول العقل،قال : فقلت له : بلية عظيمة ، فجعل يستغفر الله ويسأله أن يأجر المصاب فى عقله .

قال أصبغ : وكنت عنده يوما أنا وكاتبه ابن حصن حتى أتاه رجل محتسب برجل به رائحة الشراب ودعا المحتسب فقال ، القاضى لـكاتبه ابن حصن استنـكهه فاستنكهه فقال له: نعم عليه رائحة الشراب قال : فظهر بوجهه الـكراهية لذلك،ثم قال لى : استنـكهه أنت ففعلت فقلت له : أجد رائحة ولا أدرى إن كانت رائحة مسكر أم لا قال : فتهلل وجهه ثم قال : يطلق فلم يثبت عليه شىء .

قال محمد : وقد قدّمت عذر من أغضى عن حد السكر من القضاة فى باب ذكر محمد ابن زياد القاضى ، فأغنى عن ذكره فى هذا الموضع .

قال محمد : أخبرنى بعض إخوانى قال : كنت حاضرا عند أحمد بن بقىّ فأمر بحبس رجل ثم قال لمن بين يديه سرا : أطلبوا إلى فى إطلاقه ، فجعل القوم يطلبون إليه فأسعفهم، وقال للمأمور بحبسه ، لولا طلبة من حضر إلىّ لحبستك .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقى : وكان إذا طرقه ضيف ليلا لم يذبح له شيئا

من الطير وقال : الليل أمان لها . ويقتصر على العسل والسمن ، والبيض وما شا كل ذلك ، فيقر به إلى الضيف .

قال محمد : وكان حسن الانتقاد والفطنة فى الوثائق ، كان لا يوقع شهادته فى وثيقة حتى يقرأ جميعها من أولها إلى آخرها وكان يصبر على ذلك ، وإن كان قائما على قدميه .

قال لى أحمد بن عبادة الرعينى : كتبت لنفسى وثيقة على رجل بمال ، وذكرت فى الوثيقة سببا اضطررت فيها إلى ذكره وكانت الوثيقة بذكر ذلك السبب واهنة وأرسلت شريكا لى ليوقع فيها الشهادات على الرجل قال : فأتى بالوثيقة إلى أحمد بن بقى ليشهده فيها، فلما قرأها ووقف على وهنها ، كره أن يوقِّع شهادته على ذلك الوهن وكره أن لا يوقع شهادته فيسخط الصديق بانقباضه عنه وكره أن ينبه المشهود عليه بوهنها قال : فرفع رأسه إلى الرجل فقال له : اتشهدنى أن لفلان عندك كذا وكذا مثقالا إلى أجل كذا وكذا قال له : نعم فعقد شهادته على هذا اللفظ بعينه لا غير .

قال محمد: قال لى بعض رواة الأخبار : كان محمد بن إبراهيم بن الجباب صاحب الوثائق ، فأمر أحمد بن بقى بالتعقب عليه ، فكان يُتعقب فجعل بن الجباب يوما يقول من أين يتعاطى ابن بقى أنه أعلم بالوثائق منى ؟ فبلغ لفظه ابن بقى فسكت عنه حتى كتب وثائق ، ثم أتى بها أحمد بن بقى للعرض ، فاستفرغ ابن بقى فيها جهده ، حتى أخذ عليه مواضع أبانها له ، ثم قال له : أبدلها فأبدلها ، ثم أتى بها فانتقد عليه أيضا فيها فأرسل إليه ابن الجباب : أنا أقر لك أنك أعلم بها منى، وأشهد بذلك لك ، فدعنى من كثرة هذا الكشف والبحث وإلا حلفت أن لا أكتب وثيقة . فتركه ابن بقى بعد ذلك وسامحه .

قال لى أحمد بن عبادة : وكنت عند ابن بقىّ يوما ، وعنده رجل غير نبيه الاسم ، ولا مشهور العدالة ، ولم يكن عنده غيرنا ، وجعل رجل دخل عليه يقول له : أَشْهِدْلى أبا عمر ، وأبا فلان — الرجل الثانى — الذى كان معى جالسا ، وجعل ابن بقى يلوذ له عن الإجابة ، وألح عليه الرجل إلحاحا شديدا

قال أحمد بن عبادة فقلت فى نفسى : أتراه يجعانى نظيرا لهذا الجالس فيشهدنا جميعا على شيء يحكم به قال : فرفع رأسه إلى الطالب فقال له : أنى أعرف انقباض أبى عمر عن هذه الشهادات ولكن، أدخِل إلى فلانا اشهده مع أبى فلان وأمر بإدخال رجل من شاكلة الرجل الجالس .

قال محمد : وكان شأن أحمد بن بقى فيما يتخاصم عنده فيه، أن ينفذ الظاهر البين من الأمور، ويستعمل الأناةَ والتؤدة فيما التبس عليه ، وكان عنده فيه شك حتى تظهر له الحقيقة أو يصير المتخاصمان إلى التصالح والتراضى

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقى : أتى رجل إلى القاضى فقال له : إن بعض رجال أمير المؤمنين أعزه الله ذكرك فى مجلسه بلين الجانب ،والتطويل فى الأحكام فقال : أعوذ بالله من لين يؤدى إلى ضعف ومن شدة تبلغ إلى عنف، ثم جعل يذكر فساد الزمان، واحتيال الفجار ، وما يحدث من الأمور المشتبهة التى لا تتبين له حقيقتها ولا يكشف له وجهها ثم قال : قد اشتبه على عمر بن الخطاب رضى الله عنه خصومة قوم طال نظره فيها ، فكره أن يحكم مع الاشتباه ،فأمرهم بابتداء الخصومة من أولها .

قال محمد : وذكر لى بعض أهل العلم قال : اختصم إلى أحمد بن بقى رجلان فنظر إلى أحدهما يحسن ما يقول ، ونظر إلى الآخر لا يدرى مايقول ، ورآه توسم فيه ملازمة الحق فقال له : ياهذا لو قدمت من يتكلم عنك؟ وأرى صاحبك يدرى مايتكلم فقال له : أعزك الله إنما هو الحق أقوله كائنا فقال : ما أكثر من قتله قول الحق .

قال : وأتاه رجل يوما فقال له : ياسيدى: الحاجب موسى بن محمد يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد عرفت محبتى لك وشحى بجميع أسبابك، وقد دار عندك على يحيى بن إسحق ما قد علمت من المخاصمة، وقد شهدت عندك البينة المدول ، وتأنيت عن الحكم عليه وعن إنفاذه بما شهدت به البينة فقال للرجل : تبلغ الحاجب عنى السلام

وتقول له : إن محبتنا إنما كانت لله ولوجهه، ويحيى بن إسحق وغيره فى الحق سواء ،وقد دخل علىَّ ارتياب ولا والله ما أحكم على يحيى بن إسحق بشىء ، حتى يتضح عندى أمره بنور كاتضاح الشمس فى الدنيا ، فإنه لا يجيرنى أحد من يحيى بن إسحق إن جافانى الخصومة بين يدى الله . قال الرجل المرسول : فحكيت كلام القاضى للحاجب وهو ساكت لا يقول شيئا ،وأبو عمر أخوه الوزير يبدى ويعيد فى ذلك ،ثم تحول إليه الحاجب فقال له : يا أخى :القاضى والله رجل صالح ، لانزال بخير ما كان هو وشبهه بين أظهرنا ،ولم نزل بيحيى بن إسحق. ألم نكن نأمن هذا ونطمئن إليه ؟والله ما راده عندى إلا محبة واعتقادا .

قال محمد : وكان أمير المؤمنين أعزه الله واثقا به ومجلاًّله ، وعارفا بحقه ، ولم يعزل عن القضاء حتى توفى سنة أربع وعشرين وثلاث مائة وهو ابن أربع وستين سنة .

ذكر القاضى أحمد بن عبد الله ابن أبى طالب الأصبحى

قال محمد : ولما توفى أحمد بن بقى أستقضى بعده أمير المؤمنين أعزه الله أحمد بن عبد الله، بن أبى طالب ،غصن بن طالب ابن زياد، بن عبد الحميد، بن الصباح، بن يزيد ابن زياد الأصبحى ،وأدخله على نفسه وعهد إليه بما يعهد بمثله أئمة العدل،وولاة الحق من إعظام الخطة،وصيانتها وإيثار الحق وإمضائه وتنفيذ الأمور إذا استبانت ، والأناة فيها إذا اشتبهت ، ووقفه على حدود القضاء وسياسة الأحكام ،وما يجب للقاضى وعليه فى كل حال قولا وفعلا وولى أمير المؤمنين أعزه الله عند ذلك الصلاة محمد بن أيمن ، وكان أحمد بن عبد الله قاضى الجماعة ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن صاحب الصلاة .

قال محمد : وكان أحمد بن عبد الله شريف البيت، نبيه الإسم صموتا وقورا مهيبا قد تأدب فى القضاء ، وجرب الأمور ومن

قبل ذلك فى مبتدأ أمره كان قد ولاه أمير المؤمنين السوق والنظر فى أموال بعض كرائمه ، وقلده أسباب الأمانات فى بعض الكور ، وولاه قضاء كورة البيرة فكان بها حتى نقله أمير المؤمنين أعزه الله إلى قضاء الجماعة بقرطبة ، فكان قاضيا سنتين وشهورا يسيرة ، ثم توفى فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلاث مائة .

ذكر القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى

قال محمد : ولما توفى أحمد بن عبد الله ابن أبى طالب ، أمر أمير المؤمنين أطال الله بقاه باستقدام محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ، كثير بن وسلاس المصمودى ، وكان قاضيا على كورة البيرة قبلها ، وأتى محمد بن عبد الله ابن أبى عيسى باب أمير المؤمنين أعزه الله وأدخله على نفسه ، وشافهه بالخطاب ، وأعلمه باختياره إياه ، وولاه قضاء الجماعة ، وعهد إليه ووعظه ووصاه .

قال محمد : قال لى أبو عمر أحمد بن عبادة الرعينى : وصف لى القاضى محمد بن عبد الله ابن أبى عيسى ما خاطبه به أمير المؤمنين أعزه الله إذ ولاه القضاء ، من عهده إليه ووعظه له ، ووصيته إياه ، وما حد له فى ذلك من الحدود ، ورسم له من الرسوم ، وما فقهه فيه من أسباب القضاء ، ووقفه عليه من وجوه الأحكام ، قال أحمد فقلت : لو أن أباك كان حيا ، واجتهد فى عظتك مابلغ من النصح لك هذا المبلغ .

قال محمد : وأقر أمير المؤمنين أعزه الله محمد بن عبد الملك بن أيمن على الصلاة زمانا ، فكان محمد بن أبى عيسى ، القاضى وابن أيمن صاحب الصلاة ، حتى ضعف بدن ابن أيمن وذهبت قواه فاستعفى من الصلاة فعوفى ، وجمع أمير المؤمنين أبقاه الله الخطبتين جميعا : القضاء ، والصلاة لمحمد بن أبى عيسى .

قال محمد : ومن قبل ذلك لم يزل محمد ابن عبد الله بن أبى عيسى فى حداثة السن وبا كورة العمر معروف الحق ، ظاهر السود وطالبا للعلم ، سمع أحمد بن خالد الحباب ، وسمع منه ومن غيره ومن شيوخ قرطبة ، ثم رحل

حاجا سنة اثنتى عشرة وثلاث مائة فلقى شيوخ القيروان البجلى محمد بن على ، واحمد ابن أحمد بن زياد ، ومحمد بن محمد بن اللباد ، وإسحق ابن نعمان، وسمع أيضا بمصر من غير ما رجل من شيوخنا واقى بمكة أبا بكر المنذر ، والعقيلى وغيره، وانصرف إلى الأندلس سنة أربع عشرة وثلاث مائة وكان أحمد بن بقى قاضى الجماعة يشاور محمد بن عبدالله بن أبى عيسى مع سائر الفقهاء، وقلده أمير المؤمنين أطال الله بقاءه غير ما أمانة ، فقام بما حمل ، واكتفى بما استكفى، ثم ولاه قضاء كورة جيان، وكورة البيرة ، وكورة طليطلة ، وامتحنه فى كل وجه وعجمه فى كل معنى ، وكفى بمحنة أمير المؤمنين أعزه الله واختباره . فألفاه خالصا ووجده ناصحا ، فلما شهدت له عنده التجربة بدرجة الاستحقاق ، قلده قضاء الجماعة على حسب ما نصصت متقدما ، فتولاها بسياسة محمودة من تنفيذ الحقوق، وإقامة الحدود، والكشف عن البينات فى السر، والصدع بالحق فى الجهر ، لم يستمله مخادع ، ولم يعمل فيه كيد مخاتل ، ولا خاف أهل الحرم، ولا داهن أهل الأذمة ولا أغضى عن وجوه أهل الخدمة فى عظام الأمور ، وكبائر الأشياء ، فضلا عن أصاغر الأسباب ومحقر الحوادث .

قال لى أحمد بن عبادة : كنت مع محمد ابن عبد الله بن أبى عيسى يوما فى مقبرة الربض ، حتى نظر إلى شىء من آلة اللهو مع بعض الوصفاء فأمر بكسره فقيل له : إنه لفلان . وسمى له رجل عظيم ، فلم يلتفت إلى ذلك ولا ثناه عن ما أراد من كسره .

قال محمد : وللقاضى محمد بن عبد الله ابن أبى عيسى فى باب الصلاة وإيثار الحق وإقامة الحدود على وجوه الناس من أهل الحرم أخبار كثيرة، مشهورة فى العامة، معروفة فى الخاصة .

قال محمد : جالست محمد بن عبد الله ابن أبى عيسى غير ما مرة فرأيته محمود التصرف ، جميل المذاهب ، كريم الأخلاق ، ثم ولى بعد ذلك قضاء الجماعة فما رأيت أحدا من عقلاء إخوانه يلومه فى حوالة ، ولا يعذله فى تغير ، بل يصفونه من ضد ذلك بما هو أولى بأهل المروءة ، وأشبه بصفة أهل الكمال .

قال محمد : ولمحمد بن أبى عيسى بعد هذا كله نصيب وافر من الأدب وحظ كامل من البلاغة، مخاطبا بلسانه، ومكاتبا بقلمه، وحق لخيرة أمير المؤمنين ، وقاضي بيضته، وحاكم مصره أن يكون موصوفا بأكرم الصفات وموسوما بأفضل الآلات .

قال محمد : ثم أخرج محمد بن عيسى فى صدر سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة . فلما جاوز طليطلة ، ونزل بقرية تسمى نحارس من عمل طليطلة قريبا منها، أدركه أجله فتوفى فيها يوم السبت لانسلاخ صفر سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن أربع وخمسين سنة . وكان مولده فيما كان يذكر فى ذى الحجة لثلاث عشرة ليلة خلت منه ، من سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودفن بطليطلة رحمه الله .

ذكر القاضي منذر بن سعيد بن عبدالله البلوطى

قال محمد : ولى منذر بن سعيد يوم الجمعة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة قضاء الجماعة ، والصلاة ، فكان صلبًا صارما غير هياب ولا جبان فقضى باقى أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن رضى الله عنه . فلما مات أمير المؤمنين الإمام الفاضل رحمه الله ، وولى الإمام الحكم ابن عبد الرحمن أبقاه الله أقر منذر بن سعيد على خطبته ، فلم يزل قاضيا ، وصاحب صلاة. وكانت صلاته فى جامع الزهراء طول ما قضى من أول ولايته القضاء إلى آخرها ، ثم توفى ليلة الخميس لليلتين بقيتا لذى العقدة آخر سنة خمس وخمسين وثلاث مائة، وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ذكر القاضي محمد ابن اسحق بن السليم

قال محمد : ثم ولى محمد بن إسحق ابن السليم يوم السبت لخمس عشرة ليلة مضت من المحرم سنة ست وخمسين وثلاث مائة، فكان عنده من الفضل فى علمه ، وفهمه ، وحسن النظر فى الأمور ، وجميل الخلق فى المعاشرة ما . . . عن القضاة المتقدمين .

وبقى محمد ابن يحيى على خطة الصلاة بقرطبة إلى أن مرض فاستعفى ، فتوفى .

وولى الصلاة بقرطبة القاضي محمد بن إسحق ابن السليم وذلك يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين وثلاث مائة .

﴿ تم ﴾

استدراكات الخطأ والصواب


الخـاص بالجزء الأول من المكتبة الأندلسية

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
١	١٢	للساكن	إلى السالف
٢	٧	واستفزاز	واستقرار
٢	١٠	وعلى أوصاف	من الأوصاف
٣	٧	فأبى من بوله	فأبى من قبوله
٣	١٤	وحجاعه	وجماعه
٤	٣	لئن أتى بى	لئن أتى لى
٥	٦	وعافى بى	وعافانى
٨	٣	لابد من أن نصفه	لابد من أن نضمه
١٥	٣	المعروف بحرير	المعروف بحدير
١٧	٣	إلى معاوضه	إلى معارضة
٢٠	٦	وحاطكم بصدقه	وحاطكم بصنعه
٢١	٢١	ثم عزله أودعا	ثم عزله وأعاد
٢٣	١٥	الأمير ووصفه	الأمير فأغراه بالقاضي ووصفه
٢٤	٢	ذكر القاضي المعصب	ذكر القاضي المصعب
٣٢	٦	فتصدى له رائح	فتصدى له وهو رائح
٣٩	١٠	للأذن يعلم الأمير	للأذن تعلم الأمير
٤٢	٧	ما عفا عمّا	ما عفا على ما
٤٦	٩	فكتب إلى أمير عبد الرحمن	فكتب إلى الأمير عبد الرحمن

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٥	١٤	العمجى	العجمى
٤٦	٩	عبد الرحمن	إلى الأمير عبد الرحمن
٤٦	٧	وكذا فى زمن	وكنا فى زمن
٥٣	١	كل مارفع إليه عليك	كل ما رفع عليه إليك
٥٤	١٣	نزولهـا	نزولها
٦٣	٧	.. له	فقال له
٦٣	١١	خلال	حلال
٦٧	٣	ولاية لجدده	ولاية مجددة
٦٨	١٦	لا فا به	لاذ به
٦٩	٦	بأصحابه	بأصحابها
٧٢	١٤	شذَ عظم	شَنعاً عظم
٧٤	١٣	فى واحد	فى وقت واحد
٧٤	٤	صنيعا	ضيفا
٧٤	١٧	لمن لاث	لمن لاذ
٧٥	٩	ذ عارته	دعارته
٧٥	١٠	ولبس	ونفس
٧٦		عذا	غدا
٧٨	٤	باب الفجور	أرباب الفجور
٧٩	٤	إلى دار مع زوجها	إلى دار خرج مع زوجها
٧٩	١٤	ابن قاسم إن ذلك	ابن قاسم فيها إنّ ذلك
٨١	٨	ويكدم	ويلوم

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٨٩	٣	الهدم	الهرم
٩٥	١٤	منترحا	منتزحا
١٠٤	٧	وأقم عنه	وأقه عنه
١٠٤	١٠	وبينه	وبين
١٠٤	١٦	ولا يدخل	ولا يدخله
١٠٥	٤	النفى	النفس
١٠٥	١١	شطا به	شكا به
١٠٥	١٨	وآن ذلك	وآية ذلك
١١٨	١٨	ظاهر السود	ظاهر السؤدد
١١٩	٢١	أهل الأذمه	أهل الذمه
١٢٠	١٦	ما ... عن القضاه	ماهو مأثور معروف عن القضاة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg



يسعد الهيئة المصرية العامة للكتاب أن تقدم هذه الطبعة الجديدة من هذا المرجع القيم العزيز على أهل العلم والثقافة ، وترجو الهيئة أن تسهم بهذه الطبعة فى سد الفراغ الذى عانت منه مكتباتنا العربية نتيجة نفاد الطبعة السابقة التى تعتز الهيئة بدورها فى إصدارها .

د. ناصر الأنصارى

ISBN# 9789772402805
6 221149 007178

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣,٥٠ جنيه